جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

الْعُــدُولُ الْفِعْلِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

د. إبتسام عبد الكريم رمضان عامر
(أستاذ مساعد بقسم اللغة العربيــة بكليَّــة الآداب _جامعة عمر المختار_ليبيا)

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة العدول في صيغ الأفعال الّتي شكّلت مشغلاً ذا أهمية بارزة لأصحاب الدراسات اللغوية والأسلوبية ؛ فأعطوها بُعداً جمالياً ودلالياً ، وهذا العدول عن الصيغ الأصلية للأفعــال في السياق النصي له أبعاد بلاغية ، ومقاصد بيانية يعمد إليها الناظم ، فيكشف عن وجهٍ من وجوه البيان الدلالي الذي يفاجئ المتلقي ، ويثير دهشته ، لمخالفته القواعد المألوفة في العرف النحوي ؛ لأنّ التركيب المعدول إليه دلالياً يؤدي معنى مخالفاً لما هو ظاهر .

وعند النظر في أفعال اللغــة العربيــة نجد النحاة قد صنَّفوها باعتبار الزمن خارج السياق إلى ثلاثة أقســام : ماضٍ : وهو ما دلَّ على الزمــن الماضي ، ومضارع : وهو ما دلَّ على الزمــن الحاضر أو المستقبل ، وجعلوا القسم الثالث وهو الأمــر يدخل ضمن الدلالة على الزمن المستقبل ، غير أنَّ المتتبع للنصوص القرآن الكريم يلحــظ أنَّ التعبير القرآني كثيراً ما يخرج عن النمط المألــوف للغة من حيث التصرف في أزمنة الفعل داخل السـياق الواحد كأنْ يُعدَلُ عن الماضي إلى المضارع أو العكس ، وعن الماضي إلى الأمــر أو العكس وغيرها من صور العــدول في صيغ الأفعــال التي تكشف عن تصادم الأزمنة في البنية السطحيــة (اللفظ) مع البنية العميقة (المعنى) الأمرالذي يدفــع المتلقي إلى الانتبــاه والتفاعل مع النص ومحاولة إعــادة التوافق بين صيغ الأفعــال وأزمنتها في البنية السطحية (اللفظ) مع البنية العميقة (المعنى) ؛ لأنَّ أي عدول عن البنية السطحية يُحدثُ عدولاً عن البنية العميقة ، ويستــدعي ذلك انزياحاً أو عدولاً في المعنى يرافقه انزياح أو عدول في المبنى .

ويقرر البلاغيــون أن العــدول عن الماضي المثبت إلى المضارع المثبت الغــاية منه : استحضار صورة الحدث وكأنه أمرٌ مشاهدٌ بارز للعيان كما يُـراد به الدلالة على تجدُّد الحدث واستمراره ، وإطالة مشهده ، والتركيز على نتيجته ، أما العدول عن الماضي المنفي إلى المضارع المنفي ، فيفيــد تأكيــد النفي ، كما صرَّحوا أيضاً بأنَّ الغاية من العــدول عن الماضي إلى الأمــر العناية بتوكيد الحدث في النفوس والدلالة على سرعة تحققه وحصوله .

هذه الدلالات وغيرها كثير مما ينتجه العدول الفعلي تدفع البحث إلى الوقوف **أولاً** : على مفهوم العدول ، وتحديد المصطلح في الدراسات النحوية والبلاغية عند القدامى والمحدثين ، مع تلمس وجود ما يقابل هــذا المصطلح من مصطلحات أخرى في الدراسات الأسلوبية المعاصرة ، **وثانياً** : توضيح معيار العدول وغاياته ، **وثالثاً :** تحديد صوره وأنماطه في صيغ الأفعال ؛ إذ إنها ظاهرة نحوية ، بلاغية ، أسلوبية ، تبرز وجهاً من وجوه جماليات العربية من قدرات فائقة في التعدد الدلالي .

جامعـــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

واستنـــاداً إلى شيوع ظاهرة العـــدول الفعلي في القرآن الكريم من خلال البحث والاستقصـــاء أعاد المحدثون تقسيم الزمن إلى زمنيـــن أولاهما : صرفي وهو زمن صيغة الفعـــل المفردة خارج السيـــاق، وثانيهما : الزمن النحوي أو ما يسمَّى بالسياقي التركيبي وهو اكتساب صيغ الأفعال دلالات زمنية جديدة نتيجة تفاعلات السياق والملابسات وقرائن الأحوال .

وخلص البحث في نهاياته إلى جملة من النتائج أهمها :

- اتِّفـــاق كتب اللغة (المعاجم) وكتب النحو فضلاً عن كتب التفسير والبلاغـــة على دلالة واحدة للجذر اللغوي (عدل) هي دلالة التحوُّل والانصراف عن الشيء وتركه إلى غيره .
- التثبت من خلال تحليل سياقات العـــدول الفعلي إلى أن كل تحول في المبنى يصاحبه تحوُّل في المعنى قطعاً .
- التأكيد على أن الأفعال تكتسب في الخطاب القرآني دلالتها الزمنية من السياق الواردة فيه ، لا من بنيتها الصرفية فحسب .
- ضرورة الربط بين البنية العميقة للتركيب والبنية السطحية ؛ ليظهر من خـــلال ذلك جمـــاليات التركيب ، ووظيفته البلاغية .
- العـــدول الفعلي في القـــرآن الكريم لا يكون إلا لغرض بلاغي أراده المولى _تعالى_ فالتعبير القرآني عندما يغاير بين الصيغ الفعلية ويعدل عن صيغة إلى أخرى فإنه يكشف لنا عن المعاني البلاغية والإيحاءات البيانية التي تدلُّ على الإعجاز البياني لهذا الكتاب الخالد .
- التثبُّت من أنَّ بعض صور العـــدول الفعلي لم تتحقق في بنية الخطـــاب القرآني وإنْ كان بعض الباحثين ادَّعى تحققها ومن هذه الصور :

العدول عن الماضي إلى الأمر .
العدول عن الأمر إلى الماضي .
العدول عن الأمر إلى المضارع .

ولا يمنع عدم ورودها في النص القرآني من استعمالها في اللسان العربي الفصيح .

وفي الختام نسأل الله التوفيق ، وأن يحتسب هذا العمل لنا لا علينا فهو نعم المولى والنصير .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

Summary

This research discusses the phenomenon of the change which happens when a (Verb) implies a tense while written in another tense form. This phenomenon apparently attracted many linguists. This phenomenon who was given more significance by a good number of linguists, has far eloquence dimensions that a composer might resort to uncover more implies that amaze the receiver because they seem grammatically irregular, so that they give another meaning in comparison to their written forms.

If we look at the (Verbs) in Arabic language, we will notice that they are mainly divided into three tenses: Past: which refers to the past, Present: which refers to both present or future. Imperative: which was put to imply future activity. Unlikely, this sometimes astonishes a reader of The Holy Quran where he/she comes across a present tense to mean the past, or vise versa. This is a (tense clash) between both the artificial structure, which is (the vocabulary item) and the deep structure, which is (the meaning). This clash for eloquence purposes, is put to add significance to imagine the scene. If the verb is in the past form but it means present, this is meant to make the scence as it is lived and witnessed. On the other hand, if the verb is in the present form but it means past, this is to emphasise that the negative meaning and form. While if the verb is past but it means imperative form, it is meant to make an effect for the scene in the souls by meaning that some scene is to happen anyway.

Those implies and many other implies make this research study discusses**: firstly**; The concept of those opposite implies. **Secondly**; clearifying the criteria and purpose to those opposite implies. **Thirdly;** specifying their shape in the forms of the verbs, and how they can add more beauty and effect to the meaning.
To sum up, I hope that Allah accepts this attept and makes it witness for my side and not againist me.

Researcher,
Dr. Ebtisam AdbulKareem Ramadan

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

المقدمـــة

العدولُ في اللغةِ مظهرٌ من مظاهرِ العدولِ في الحياة الإنسانيةِ بشكلٍ عام ؛ ذلك أنَّ لكلِّ سمْتٍ عدولاً، لا يتخلَّفُ عن هذه القاعـــدة منحًى من مناحي الحياةِ ، ولا يشذُّ عنها مسارٌ من مساراتها ، سواء تعلَّقَ الأمرُ بأحدِ جوانبِ الحياةِ البشريةِ العامة ؛ كالهيأة واللباس ، والمأكل والمشرب ، والهندسة والعمران ، وكل ما يتَّصل اتصالاً مباشراً بيوميات الإنسان ، أم تعلَّق بقاعـــدةٍ من قواعـــد العلاقاتِ الإنسانيةِ والاجتماعيةِ في تعامل الإنسان مع غيره بيعاً وشراءً ، مصاهرةً وزواجاً ، تساكناً وجواراً ، أوغير ذلك مما يَسِمُ حياةَ الإنسانِ بما هو كائن اجتماعي ؛ وليست اللغة إلا إحدى الظواهر الاجتماعية .

و العدول عن القاعدة بشكلٍ عام ، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية لا يكون إلاَّ لطلب التميُّزِ أملاً في الاستحواذ على قبول الآخر ورضاه ؛ ذلك أنَّ الَّذي يعدل عمَّا عليه الناس يُقدِّم في عدوله دعوةً ضمنيةً إلى الآخر مؤداها : **أنَّ الذي عندي يغاير ما عند الناس فهلاَّ أقبلتَ عليه ؟**

وليست اجتماعية الإنسان إلا قبوله الآخر وقبولُ الآخر له ؛ لذلك فإنَّ قبول الآخر هي الغاية التي يتسابق إليها الناس ، وتصطرع في سبيل إدراكها قُواهم ، ويحشدون لها كل أسلحتهم ، ومنها - بلْ أولها سلاح اللغة ، ولا رهان أشد على الإنسان من هذا الرهان .

وإذا كان العدولُ في مطْلَقه سمةَ العملِ المتميزِ ، وكانت اللغةُ ترجمان الفكر فإن العدولَ في اللغة لا يكون إلا في النصوص المتميزة بلْه النَّص المعجز .

ثم إذا كان علم الصرف مقدَّماً على علوم اللغة الأخرى باعتباره يبحث في ذات الكلمة التي تُعد محور الدلالة كلِّها من حيث إنَّ الدلالة في مجملها تقوم على الدليل اللساني -أي الكلمة- سواء في معناه المفرد ، أم في علاقاته الداخلية بباقي الأدلة التي تجاوره في السلسلة الكلامية ، أم في علاقاته الخارجية المتصلة بمستعملي اللغة ، والسياقات المختلفة التي تنتظمهم ، فإنَّه من مجموع ذلك يستمد ((العدول الفعلي)) أهميته ويقدِّمُ موضوعاً ثراً للبحث الدلالي لغرض معرفة الوجه الآخر للنصوص البليغة وإليك _ أيها القارئ _ هذه الأهمية :

أهمية البحث وأهدافـــه :

يسعى هـذا البحث إلى دراسة ظاهرة مهمة من ظواهر النحو والبلاغة هي ظاهرة العدول بصورة مغايرة لما هو مألوف في القواعد العرفية ؛ ذلك أنَّ ثراء اللغة العربية بظواهر لغوية جعلها في نظر الباحثين اللغويين قديماً و حديثاً أولى بالدراسة والعناية مع محافظة هذه اللغة على معظم خصائصها الدلالية والأسلوبية ، ومن هذه الظواهر : ((ظاهرة العدول الفعلي)) التي لها دور كبير في إعطاء اللغة طاقة دلالية ، مغايرة لما هو مألوف في العرف اللغوي وقد تتبع البحث الدلالة في صيغ الأفعال من خلال أزمنتها داخل السياق النصي لا من خلال زمن الصيغـــة مفردة خارج السيـــاق ، متخذاً الشواهد المناسبة نماذجَ تطبيقية ؛ إذ إنَّ البحث لا يقف عند حدود القاعدة النحوية الوصفية فقط ، بل يتجاوزها بالدراسة والتحليل ، واستنباط الأبعاد الدلالية المقصودة من مخالفتها .

منهجية البحث:

إنّ طبيعة موضوع الدراسة جعلت البحث يجمع بين منهجين : **الأول** : المنهج الوصفي الاستقرائي المتمثل في البحث عن صور العدول الفعلي في صيغ الأفعال في التراث اللغوي القديم من خلال كتب النحويين والبلاغيين ، وما جاؤوا به من شواهـــد لتأكيد قاعدتهم ، وإقرار فكرهم ، **والثاني** : المنهج

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

التحليلي الذي يبحث في دلالة العدول في صيغ الأفعال التي ترد في سياق الكلام ؛ لأنّ للسياق دوراً كبيراً في تحديد المعنى ، وكانت صورة البحث على النحو الآتي:

مقدمـــة توضِّح أهميـــة موضوع البحث ، ووجاهتــه ، ودوافع البحث فيه ، والمنهجية المتَّبعة في دراسته .

و تمهيـــد تضمَّن تحديد مفهوم العدول على وجه العموم ، وعرض بعضاً من آراء اللغويين حول مصطلح العدول قديماً وحديثاً ووضَّح معيار العدول وغاياته .

وجَّه البحث بعد ذلك اهتمامه بالعدول الفعلي وتفصيل الحديث عنه كان على النحو الآتي :

_ مدلول العدول الفعلي على وجه الخصوص .

_ صور العدول في الأفعال ، وتشمل : عدولات الماضي ، وعدولات المضارع ، وعدولات الأمر مع مناقشة الفرق بين دلالة المعدول عنه والمعدول إليه والتطبيق في ذلك على نماذج من القرآن الكريم ، ثم يختم البحث الدراسة بأهم ما توصل إليه من نتائج تضاف إلى ميدان الدراسة اللغوية يضمنها في خاتمته ، ويلحقها بقائمة تشمل مصادره ومراجعه .

التمهيـــــد

قبل المضي في بسط الكلام عن مفهوم (العدول) تجدر الإشارةُ إلى أن مصطلح العدول هو اختيارٌ ارتضاه البحث بديلاً عن الانزياح أو الانحراف أو التحوُّل أو المغايرة...وغيرها من المصطلحات الدالة على هذا المفهوم[1] .

أولاً: مدلول لفظ العدول على وجه العموم :

جاء في كتاب العـين : ((عِدْل الشيء: نظيره...والعَدْل أن تَعْدِل الشيء عن وجهه فتميله ... وعَدَلْتُ الشيء أقمته حتى اعتدل ... وعَدَلْتُ الدابةَ إلى كذا ، أي : عطفتها فانعدلت ، والعَدْل : الطريق ... والانعدال : الانعراج))[2] .

وفي المحكم : ((عَدَلَ عن الشيء يَعْدِل عَدْلاً وعُدولاً : حادَ ... وعَدَلَ إليه عدولاً : رجع ... وعَدَلَ الطريقُ : مال ... وانْعَدَلَ وَعَادَلَ : اعوَجَّ))[3] .

وفي لسان العرب : **العدول** : مصدرٌ مأخوذٌ من عدلَ عن الشيء يعدل عَدْلاً وعُدولاً بمعنى: حاد ، و عَدَلَ عن الطريق جار ، وعدل إليه عدولاً: رجع إليه ، وفي الحديث: ((لا تعدل سارحتكم))[4] ، أي: لا تصرف ماشيتكم ، والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه ، وعدل عنه يعدل عدولاً إذا مالَ كأنَّه يميل عن الواحد إلى الآخَر[5] .

---

(1) من المصطلحات الأخرى التي تعبر عن مفهوم العدول: التجاوز ، التوسع ، الإطاحة ، المخالفة ، الترك ، نفض العادة ، الانتهاك ، خرق السنن ، العصيان ، التحريف ، الانكسار ، الإزاحة ، الانزلاق ، الاختراق ، التناقض ، المفارقة ، التنافر ، مزج الأضداد ، الاختلال ، الانحناء ، التغريب ، الاستطراد الاختلاف ، فجوة التوتر ، الجسارة اللغوية ، شجاعة العربية ، الغرابة ، الابتكار ، الخلق . ينظر: عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (162 _ 165) ، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : (141) ، أحمد محمد ويس: الإنزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: (32_33) .

(2) الفراهيدي : الخليل بن أحمد: العين: مادة (عدل) : (38_40) .

(3) ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم: مادة (عدل) : (11_16) .

(4) أي: لا تُصرف ماشيتكم وتمُال عن المرعى ولا تمُنع . ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر: (191/3)

(5) ابن منظور: لسان العرب: مادة (عدل) : (62/10_64) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

ومما تقدَّم يظهر أن العدول في معاجم اللغة يـدل – فيما يدل عليه– على حيـاد الشيء عن وجهته وإمالته عنهـا ، كما نلحظ في استعمال العربي للفظ (العدول) حركةً ذهنية بين معنى معدولٍ عنه ، وآخر معدولٍ إليه تتحدد بقرينة حرف الجر الذي يميز المتروك بالحرف (عن) والمطلوب بالحرف (إلى) .

وقبل المفاضلة بين المتروك والمطلوب_التي هي عماد البحث_نحب الإشارة _ابتداءً_ إلى أنَّ هذه الحركة نفسها هي دليل على حيرة المتكلم في أي اللفظين يفي بحاجة الخطاب ، وأنَّ إخراج المعنى في صورة العدول هي المرحلة الأخيرة من مخاضٍ عسير ينتهي به اصطراع الأصل والفرع في ذهن الذَّات المبدعة ؛ لتكون الغلبة للمتغير الفنِّي ممثَّلاً في الفرع المعدولِ إليه (على الثابت) ممثَّلا في الأصـل المعدول عنه بما يبين عن جرأة المبدع وعدم ركونه للجاهز المألوف ، كلُّ ذلك إشراكاً للمتلقي كي يكون فاعلاً في حلقة الخطاب من خلال رده كلَّ فرع إلى صورته النمطية التي كان يجب أن يكون عليها ، ومن ثَمَّ فإن فنِّية العدول تتحدد تداولياً كما تتحدد بلاغياً .

أما دلالة لفظ (العدول) في (كتب النحو والتفسير والبلاغة) فهي دلالة واحدة تدور حول الانصراف عن الشيء وتركه والتحــول إلى غيره ، يقـــول ابن جني في معرض تعريفـه للعدل : معنى العدل : ((أن تلفظ ببناء وأنت تريد بناء))[6] وعرَّفه العكبري بقوله : ((العدل: هو أن يقام بناء مقام بناء آخر فالمعدول عنه أصل للمعدول))[7] ، وفي المساق الدلالي نفسه تتحرك مادة (عدل) عند علماء التفسير ؛ إذْ يقول القرطبي في مسـألة تنصيب الإمام المفضول مع وجود الفاضل : ((إذا خيف بإقامة الأفضل الهـرج والفساد وتعطيل الأمور التي لأجلها ينصب الإمام كان ذلك عذراً ظاهراً في العدول عن الفاضل إلى المفضول))[8] .

و للدلالة ذاتها يوظِّف البلاغيون مادة (عدل) ، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((إذا عُدِلَ باللفظ عمَّا يوجبه أصل اللُّغة وُصِف بأنَّه مجاز))[9] ، و ذكر ابن الأثير: ((أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنـوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخـاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة ، الذي اطَّلع على أسرارها ، وفتش عن دفائنها ، ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكل ضروب علم البيان ، وأدقها فهمـاً ، وأغمضها طريقاً))[10] ، ومن خلال اكتشاف أصول هذا المصطلح لدى ابن الأثير يتجلى عمق ما وصل إليه البحث في استكناه خصوصية المصطلح بالانتقال من معنى إلى معنى ، لا يتوصـــل إليه إلا المبرز في معرفة البلاغة والفصاحة ، والغائص في أعماق أسرارهما ، والمنقب عن ذخائرهما باعتبار العــدول من أشكــل ضروب علم البيان ، لأنه دقيق الفهم غامض الطريق .

وعلى هذا فالعـــدول مصطلح بلاغي من وجه ، ومصطلح دلالي من وجه آخر ، فهو معنيّ بالبيان العربي في لفتاته البلاغية ، وهو معنيّ بدلالة الألفاظ في صيغ الاستعمال.

وفي ضوء هذا الفهم يبدو للبحث أن العدول في معناه الاصطلاحي هو : الانتقال بالألفاظ في النص من سياقها المألوف الاعتيادي إلى سياق جديـد خلاف الظاهر ممّا يثير التساؤل ، ويلفت النظر والانتباه فإذا كان الأصل في المتحدِّث أنْ يبني خطابه وفـــق نواميس اللغـة وقواعدها فإنَّ الحاجة البيانية ، أو

(6) ابن جني : اللمع في العربية : (88) .
(7) العكبري : اللباب في علل البناء والإعراب : (502/1) .
(8) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : (266/1) .
(9) الجرجاني : أسرار البلاغة : (278) .
(10) ابن الأثير : المثل السائر : (14/2) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

الفنية تُلجِئُه إلى التخلي عن النمط وترك السنن ؛ فيجد في الفروع مندوحه ومنتهى غايته ، و هي _أي: الفروع_ وإن كانت تنحط دائماً عن درجة الأصول[11] فإنَّ هذا الانحطاط معتبر بالقياس إلى الأصول التي يعاد إليها ويشتق منها لا باعتبار الفنية والبيان ، لأنَّه لا يعدل عن الأصل إلى الفرع إلاَّ عند أمن اللبس[12]، والفنِّية إنَّما تكون في الفروع لأنها تعكس قدرة المتكلم على التصرف في اللغة و تطويعها إلى حاجته البيانية والفنية .

ثانياً : مصطلح العدول الفعلي على وجه الخصوص

إنَّ التواضع العربي خصَّص بناء (فَعل) للدلالة على الزمن الماضي بكل مراحله ، وبناء (يفْعل) للدلالة على الحاضر والمستقبل ، وبناء (افْعل) للطلب ممثلاً في فعل الأمر الذي يعد شريك المضارع في دلالته على المستقبل[13] ؛ هذا هو الأصل في الدلالة الإفرادية لصيغ الفعل ، لكن الاستعمال اللغوي كثيراً ما يخرق هذا التواضع ، ويلجأ إلى الأسلوب العدولي الذي يُعرَّفُ بأنَّه : ((خروج عن أصل ، أو مخالفة لقاعدة ، ولكن هــذا الخروج ، وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قــدراً من الاطِّراد رُقِّي بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها...))[14] .

وبنــاءً عليه فإنَّ العدول الفعــلي على وجه الخصوص يمكـن تعريفـه بأنَّه: استعمال صيغة (فعل) مكان (يفعل) ، أو (يفعل) مكان (فعل) ؛ ذلك أن ((الفعل العربي لا يفصح عن الزمــان بصيغــه وإنما يتحصل الزمان من بنـاء الجملة))[15] ، ((وقد يشار ببناء (فعل) إلى غير الزمن الماضي ، كما يشار ببناء (يفعل) و(فاعل) إلى دقائق زمنية واضحة))[16] .

تــداول مصطلح العدول بين القدامى والمحدثين

وجد مصطلح العدول عناية واهتماماً كبيرين من اللغويين القدماء والمحدثين،وُلقّب بشجاعة العربية، فصرحوا به كثيراً في أثناء تحليلهم للظاهرة اللغوية حيث يقع العدول على المستوى الاستبدالي، كالعدول عن صيغة فِعْل إلى صيغة فِعْل آخر يحلُّ محلّه _الذي هو موضوع هذا البحث_ والعدول عن صيغة المفرد إلى الجمع ، وعن لفظ الخطاب إلى الغيبة والعكس ، وعن التذكير إلى التأنيث والعكس ، وذلك على خلاف القواعد الموضوعة في العرف اللغوي ، وتفصيل الحديث عن الاهتمام بالمصطلح وتداوله بين القدامى والمحدثين على النحو الآتي:

أولا: مصطلح العدول عند القدامى

حظي مفهوم العــدول باهتمام كبير عنــد كل من البلاغيين والنقاد ، وتناولوه تحت مصطلحات كثيرة[17]، وممن تحدث عن العــدول _ وإن لم يسمه باسمه _ ابن قتيبـة في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه إذ قال: ((ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب...))[18]، وإدراج

(11) تمام حسان : الأصول (دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب) : (153) .
(12) نفسه : (155) .
(13) أحمد الحملاوي : شذا العرف : (56، 57) .
(14) تمَّام حسَّان : البيان في روائع القرآن : (77/2) .
(15) إبراهيم السامرائي : الفعل زمانه وأبنيته : (24) .
(16) نفسه : (23) .
(17) ينظر ص: (3) من هذا البحث ، هامش (1) .
(18) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : (289) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

ابن قتيبة فكرة العدول تحت موضوع (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) يتوافق تماماً مع مكمن الفنية في العدول ؛ لأن الدلالة في خطاب المفارقة تنبني على علاقة التضاد بين الدلالة الحرفية الأولى للمنطوق والدلالة المحوَّلة[19] وذلك من خلال مفاجأة المتلقي بالتناقض البادي في البنية السطحية والبنية العميقة للخطاب وهو أمر يوقظُ فيه الانتباه فيجعله يتلقى المعنى وهو في كامل الاستعداد .

واستعمل أبو هلال العسكري مصطلح (العدول) في كلامه عند بيان الفرق بين صيغتي : (رحيم ، ورحمن) ، فذكر أن : (الرحيم) مبالغة لعدوله ، وأن (الرحمن) أشد مبالغة لأنه أشد عدولاً[20]، ونرى أن أبا هلال قد أثار قضية أخرى هي نسبية العدول وتفاضله ، وهي فكرة يؤكِّدها أحد المحدثين بقوله: ((كلما كان الانزياح أو الانحراف بعيداً كان أعلى بلاغة وأكثر عاطفة وإثارة وإبداعاً فنياً))[21] ؛ لأن الإغراب في العدول يعكس مستوى عالياً يتوقعه المتكلم في المتلقي ، وهو تناسب يطَّرد بين طرفي الخطاب إذْ إن إيغال المتكلم في العدول يوجب مكنَةً أكبر في فك دلالة الخطاب .

وذكره الزمخشري عند حديثه عن الكناية فقال: ((والذي دعاهم إلى الكناية الإجلال عن التصريح بالاسم ونظيره العدول عن فَعل إلى فُعل))[22] .

ورأى الزمخشري أن: ((الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد))[23] .

و قال ابن الأثير: ((اعلم أيها المتوشِّح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلاَّ العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطَّلع على أسرارهما وفتَّش عن دخائلهما ، ولا تجد ذلك في كلِّ كلام فإنَّه من أشكل ضروب علم البيان وأدقِّها فهماً ، وأغمضها طريقاً))[24] ، وهو كلام فيه أكثر من فكرة: **الأولى:** الإشارة إلى أن موضوع العدول تتعاوره أربعة علوم على الأقل و هي: علم الصرف ؛ لأن العدول يكون بين المفردات ، وهو موضوع علم الصرف ، وعلم البلاغة لصريح قوله بأنه: ((من أشكل ضروب علم البيان)) ، والأسلوب وهو ما يفهم من قوله: ((لا يتوخاه في كلامه إلاَّ العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطَّلع على أسرارهما)) ؛ لأن المعرفة برموز الفصاحة والبلاغة والاطلاع على أسرارهما مما يتفاضل فيه الناس فيتَّصف كلُّ كلام بما ليس في الآخر من خصائص أسلوبية ، وتداولية ؛ لأن للعدول ارتباطاً بما يخدم التواصل كحفظ مقامات المخاطبين ، أو تحديد عتبة الخطاب ، أو نحو ذلك مما يتصل بالجوانب التداولية للُّغة ، **و الثانية:** تظهر في تبرير العدول الذي ((لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك)) أي أنَّه ليس أمراً عفوياً ، بل فيه من القصدية ما يوجب البحث في غاياته ومراميه المتنوعة ، **و أما الثالثة** فهي اعتراف ابن الأثير بأن العدول ((من أشكلِ المسائل وأدقِّها وأعمقها)) ، وهو كلام يوثِّق الصلة بين موضوع العدول وطبيعة اللغة الإبداعية التي تتأبى على الانقياد وتستعصي على الاطِّراد مما يغري بالبحث في ظاهرة العدول التي تغدو أبرز معالم الفنية والجمال في اللغة .

---

(19) ينظر : محمد العبد : المفارقة القرآنية : (73) .
(20) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية : (195_196) .
(21) حسن منديل العكيلي : الإعجاز القرآني في أسلوب العدول : (158) .
(22) الزمخشري : ربيع الأبرار : (482/2) .
(23) الزمخشري : الكشاف : (19/1_20) .
(24) ابن الأثير : المثل السائر : (14/2) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

كلُّ هذه النصوص تؤكِّد أصالة موضوع (العـــدول) ، والصرفي منه على وجه الخصوص ، وأنَّه معروف لدى القدامى إلاَّ أنهم لم يفردوه بالدراسة ، وإنَّما تناولوه تارة تحت المباحث الصرفية ، وأخرى في ثنايا علوم البلاغة ، ممَّا جعل الحاجة تمس إلى جمع مباحثه في مؤلَّف واحد يمكِّن من الوقوف على أهم دلالاته ، وذلك بالإفادة من معطيات العلوم الحديثة كالأسلوبية ، والتداولية .

ثانيا:مصطلح العدول عند المحدثين

يستمد العدول الصرفي أهميته عند المحدثين من أهمية علم الأسلوب الذي يعد امتداداً لعلم البلاغة_على اختلافهما المنهجي _ذلك أن المحدثين _عرباً وغربيين_ تناولوا العدول بشكل عام ، والعدول الصرفي بشكل خاص في مباحث علم الأسلوب وذلك باعتبار العدول خصيصة أسلوبية تميز نصاً عن آخر ، وكاتباً عن كاتب ، ولا أدلَّ على عظيم اهتمامهم بالعدول من تعدد المصطلحات الدالَّة عليه[25] .

ولما كانت الأشكال اللغوية صوراً للفكر[26] ، وكان الفكر متعدداً متنوعاً كان من الطبيعي أن تتعدَّد صور العدول ومن ثم تتباين الأساليب والنصوص على الرغم من اتحادها في كونها معدولاً بها عن الأصل .

يرى (موكاروفسكي) أن السمة التي تميز اللغة الشعرية عن اللغة المعيارية هي: انحرافها عن قانون اللغة المعيارية وخرقها له ؛ إذْ إن انتهاك قانون اللغة المعيارية الانتهاك المنتظم هو الذي يجعل الاستخدام الشعري للُّغة ممكناً ، ومن دون هذا الإمكان لا يوجد الشعر ، وكلما كان قانون اللغة المعيارية أكثر ثباتاً في لغة ما كان انتهاكه أكثر تنوعاً ، ومن ثم كثرت إمكانات الشعر في تلك اللغة[27] ، و إذا عدنا إلى واقع اللغة العربية وبخاصة مرحلة الجمع والرواية واستحضرنا الشروط التي اشترطها اللُّغويون في النصوص المحتج بها ؛ من تحديد تاريخي ، وجغرافي ، ونصٍّ على القبائل التي تؤخذ عنها اللغة والتي لا تؤخذ عنها ، ثم استحضرنا المنهج المعياري الذي كُتبت وفقه كلُّ علوم اللغة العربية ، وليس المنهج المعياري إلاَّ امتداداً للنقد الشفوي الانطباعي السابق لمرحلة الجمع والتدوين ، أدركنا سبب الغَناء الشعري في اللغة العربية .

ويرى (تودوروف) أن ((الانزياح لحنٌ مبررٌ ما كان ليوجد لو أن اللغة الإبداعية كانت تطبيقاً كلِّياً للأشكال النحوية الأولى))[28] .

أما رأي (ريفاتير) بأن ((الانحراف حيلة مقصودة لجذب القارئ))[29] فهو كلام يتَّصلُ بالتداولية بسبب ، وبعلم الأسلوب بسبب آخر ؛ يعضده تعريف (فلوبر) للأسلوب بأنَّه : ((سهم يرافـق الفكرة ويخز متقبلها))[30] ، وهذا يعني أن العدول أداة بيانية وآلية تواصلية غايتها تحفيز المتلقي وتهيِئَته لتلقي الفكرة ، وهو توصيف يجعلنا نصنِّفه ضمن الأدوات التي تحقق الوظيفة الانتباهيـة للُّغة .

---

(25) ينظر ص : (3) من هذا البحث ، هامش : (1) .
(26) شكري عياد : اللغة والإبداع : (8) .
(27) بان موكارو فسكي : (اللغة المعيارية واللغة الشعرية) ، ترجمة إلفت كمال الروبي : فصول مجلة النقد الأدبي _ المجد الخامس_ العدد الأول : (41_42) .
(28) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (102_103) .
(29) شكري عياد : اللغة والإبداع : (79) .
(30) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (82) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

ومن اللغويين العرب المحدثين يُعدُّ ((الدكتور تمام حسان أكثر المعاصرين عناية بظاهرة العدول))[31] ؛ حيث عدَّ العدول الأسلوبي ((خروجاً عن أصل ، أو مخالفة لقاعدة ، ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطِّراد رُقي بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها))[32] ؛ إلاَّ أن ثمة من لا يرى في العدول الاطِّراد الذي تحدَّث عنه (تمام حسان) ، بل هو في نظره ضرب من الاصطلاح يقوم بين الباثِّ والمتقبل ولكنه لا يطَّرد ... وبذلك يتميز من اصطلاح المواصفات اللغوية الأولى ؛ فهو إذاً تواضع جديد لا يفضي إلى عقد بين المتخاطبين[33] .

والعدول بوصفه تواضعاً جديداً هو دعوة المتلقي إلى مسايرة المتكلم في تجاوزه الثابتَ اللغوي الذي استنفذ طاقته التعبيرية ولم يعد قادراً على الوفاء بالحاجة البيانية أو الفنية التي تعتمل في ذهن منشئ الخطاب ؛ ذلك أن ((الدرجة الصفر بتعبير (رولان بارث) يفتقر فيها الكلام إلى القدرة على التأثير بسبب من افتقاره إلى الجدة والإثارة))[34] ، ولا سبيل إلى الجدة ما لم تُتَجاوز المواضعات الشائعة والاصطلاحات المألوفة ؛ لأن ((التنويع في الأسلوب ذو أثر بالغ في مستوى التلقي))[35] ، وله كبير الأثر في دفع الملل وتهيئَة المتلقي لاستقبال المعنى بما يلبس العبارة من مسوغات أسلوبية ؛ ولولا ذلك لما سمى المعاصرون العدول منبهات ، أو سمات أسلوبية[36] .

ذلك كله يكشف القيمة التداولية والأهمية البيانية للعدول بوصفه مهاداً يقدمه المتكلم بين يدي فكرته ودعوةً منه لاستمالة فكر المتلقي بل إنَّه ((يسلِّط مع ذلك على المتقبل تأثيراً ضاغطاً به لينفعل للرسالة المبلغة انفعالاً ما))[37] وإذا كانت الرسالة مهمةً باعتبارها الغاية الأولى للحدث الكلامي فإن العدول لا يقلُّ عنها أهمية باعتباره وسيلة ضامنة لتهيئة ذهن المتلقي وجعله أكثر قابلية لما يلقى إليه .

هــذا عن العدول بشكل عام ، أما في النص القرآني فإن : ((الانزياح في صوره كافة ؛ تقديماً وتأخيراً ، التفاتاً وحذفاً مبدأ جمالي اعتمده الخطاب القرآني من أجل التعبير عن المعاني الإضافية التي تبقى محجوبة عن الأنظار فيما لو بقي التركيب على أصله المفترض ، أو إذا لم يكسر السياق بعنصر لغوي غير متوقع))[38] .

وليس يعني هذا أن كسر السياق هو غاية في حد ذاته ، أو أن العدول رسالة مقصود تبليغها إلى المخاطب ؛ إذ لولا أن تلك المعاني التي يفيدها العدول تتقاصر دونها التواضعــات اللغوية الأصلية لانتفت الحاجة إليه ، بيد أن المقصود و المستهدف هو انتبــاه المتلقي الذي كثيراً ما يصرفه ما في الأصل من إلْف ورتابة ؛ ذلك أن ((الذوق العربي يكره توالي الأمثال ، وتوالي الأضداد ، ويأْلَفُ توالي الأشتات))[39] ؛ لذلك فإن ((التعبير القرآني قد يعمد إلى إجــراءات أسلوبيــة في مبنى الفواصل من قبيل الحذف ، والخطف ، والزيادة ، واستبدال الصيغ من أجل الحفاظ على الشُّحنة الصوتية من غير أن

(31) حسن منديل حسن العكيلي : الإعجاز القرآني في أسلوب العدول : (52) .
(32) تمام حسان : البيان في روائع القرآن : (77/2) .
(33) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (76 _77) .
(34) أحمد محمد ويس : الإنزياح في التراث النقدي والبلاغي : (13) .
(35) صالح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (334) .
(36) ينظر : عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (63 ، 164) .
(37) نفسه : (36) .
(38) صالح ملاّ عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (373) .
(39) تمام حسان : الأصول (دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب) : (6) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

يضحي بالملحظ البياني))[40] **ولكن هل العدول في القرآن مقصور على الفواصل؟ وهل غايته صوتية صرفة ، أو بيانية صرفة ، أو أنها تجمع بين الاثنين ؟**

الحقيقة أن شرارة هذا التساؤل كانت قد انقدحت من اختلاف في الرأي مع الأستاذ خليل عمايرة حين عزا العدول في رتَبِ الكلام _لدى حديثه عن التقديم والتأخير في فواصل الآيات في كتابه : (في نحو اللغة العربية وتراكيبها) _إلى الغرض المعنوي دون الإيقاع ، وذاك في معرِضِ رده على الأستاذ إبراهيم أنيس الذي رأى أن الغاية إيقاعية صرفة ؛ قال الدكتور خليل عمايرة : ((فالتقديم يكون دائماً لغرض يتعلَّق بالمعنى ، وليس لغرض يتعلَّق بالبنية الشكلية ، أو موسيقى الكلام ، ولا هو تارة لمعنى وأخرى لموسيقى الكلام الأمر الذي ذهب إليه إبراهيم أنيس))[41] ، مما أثار الفضولَ العلمي للبحث فيه وتتبع دلالته والتعرف على مراميه في القرآن الكريم وذلك باعتبار العدول الصرفي شكلاً من أشكال خرق القاعدة كما الحال في خرق قاعدة الرتبة ، **فهل يكون الغرض دائما هو المعنى كما رأى خليل عمايرة ؟!**

الإجابة عن هـذا التساؤل ستتضح من خــلال البحث وتتبع الظاهرة في النص القرآني وتحليــل التراكيب الواردة بها ومناقشة الآراء حولها .

معيــار العــدول:
هل يُعــدُّ كل خروج عن المألوف عدولا ؟ وهل هناك معايير لهذا الخروج؟

للخروج عن النمط المألوف إلى نمط غريب غير متوقع معايير وإن لم تكن ثابتة ، فهي متغيرة وهذا التغير يتسبب في إشكالية جديدة وهي ((تغير المعيار وعدم ثباته ؛ لأن الاستعمال اللغوي في تطور مستمر، وكثيراً ما يحدث أن تتحول بعض الأساليب المجازية والصور البلاغية لكثرة تكرارها إلى قوالب جاهزة واستعمالات متداولة على كل الألسنة ، فتفقد بذلك قيمتها الأسلوبية وتصبح لا فرق بينها وبين الاستعمالات الأخرى فيصعب بذلك تحديد المعيار تحديداً دقيقاً ونهائياً))[42] .

ومهما يكن من أمر فإنَّ الباحثين الأسلوبيين قد بذلوا جهوداً كبيرة في البحث عن المعيار الذي يتحدَّد به العدول ، وذلك من منظور قائم على أنَّ العدول يفترض أصلاً مسبقاً استقرَّ ورسخ في اللغة ؛ ليكون هو المقياس الذي يتحدَّد به العدول ، وتُعرف به درجته ، فأطلقوا على الواقع اللغوي الأصلي قبل حدوث العدول مصطلحات عدَّة منها: (القاعدة ، والمعيار، والعمدة ، والاستعمال المألوف ، و اللغة المعيارية ، و أصل الوضع ، والدرجة الصفر ...)[43] .

ولم يتوقف الأمر في تحديد معيار العدول عند هذا الحد ، بل ذهب بعضهم إلى أنَّ المعيار يكمن في التفريق بين اللغة الشعرية واللغة النثرية ، وقد تجلَّى هذا الأمر واضحاً عند (جان كوهن) الذي صرَّح بأنَّه : إذا كان النثر هو المستوى اللغوي السائد فإننا يمكن أن نتخذ منه المستوى العادي ، ونجعل الشعر مجاوزة تُقاس درجته إلى هذا المعيار[44]

(40) صالح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (375) .
(41) خليل أحمد عمايرة : في نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق : (90) .
(42) فريدة مولى : انزياح الخطاب الصوفي عند النفري المواقف والخطابات نموذجاً : (106) .
(43) أحمد غالب النوري الخرشة : أسلوبية الانزياح في الأسلوب القرآني : (26) .
(44) ينظر: جان كوهن : بنية اللغة الشعرية : (15) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

والمتأمل في هذا المعيار يكتشف في سهولة ويســـر أنَّه معيـــار ، أو رأي غير دقيــق ؛ لأنَّ هناك عدولات يمكن أن تظهر في لغة الأجناس الأدبية الأخرى ، فالعدول ليس مخصوصاً بلغة الشعر فقط ؛ إذْ إنَّ مظاهر العدول من استعارة ومجاز وكناية وحذف وتقديم وتأخيـر وغيرها قد تتجلَّى في الأعمـــال النثرية بشكل يوحي بأنَّ الحد الفاصل بين ما هو شعري وما هو غير شعري عنصر غير مستقل .

وهناك مقاييس أخرى تكشف عن العـــدول في النص الأدبي ، فقد يُكشف عنه باعتماد الحس اللغوي عند المتلقين ، وبهـذا فإنَّ معيـــار العدول فضفاض غير محدد ؛ إذْ يتفاوت المتلقون في تحديد درجات العدول وفهمها ، يقول شكري عيَّاد : ((ونحن ندرك من أول وهلة أنَّ القارئ يمكن أنْ يتسوقفه تعبير ما يخيَّل إليه أنَّه خارج على المألوف بدرجة كافية ليعـــده انحرافاً ، ومن ثَمَّ يـــرى فيه سمة أسلوبية قوية يستدلُّ بها على شعور الكاتب ، أو على المعنى الذي يريـد أنْ يثبته في ذهن المتلقي ، مع أنَّ قارئاً آخر، أو قراء آخرين يمكن ألّا يتفقوا معه في ذلك ، فبديهي أنَّ كل قارئ يتأثر بطبيعته ومزاجه ولا سيما إذا كان ثمة اختلاف بين عصر الكاتب وعصر القارئ ...)) [45] ؛ وعليه فإنَّ القرَّاء يتفاوتون في تقديرهم للعدول وفهمه ، بل لعلَّ القارئ نفسه يختلف في تحديد العدول من نص إلى آخر .

وقد يُحدَّد معيار العدول من داخل النص نفسه ؛ إذْ يُعدُّ النص الأدبي هو المعيار الذي يمكن أن يقاس عليه العدول فقد لجأ (ريفاتير) إلى معيار آخر يكمل المعيار العمدة للقارئ سماه (السياق) يُلتمس من خلال النص ويقوم على العلاقة المتبادلة بين (السياق ، والمسلك الأسلوبي) ؛ إذْ إنَّ المسلك الأسلوبي يكتسب صفة العدول قياساً إلى سياق معين ، ومثال ذلك أنَّ الجملة القصيرة في سياق الجمل الطويلة تعدُّ مسلكاً أسلوبياً وكذلك العكس ؛ لذا فإنَّ كل كسر متعمد للسياق يعدُّ مسلكاً أسلوبياً[46] .

وأخيراً فإنَّ هناك من الباحثين نفراً وجد في البنية العميقة ، والبنية السطحية مقياساً موضوعياً لتعيين العدولات ومما يذكر أنَّ هاتين البنيتين همـــا من أهم مقولات (تشومسكي) اللغوية ، فقد ذهب إلى أنَّ ((معظم الجمل لها بنيتان: بنية سطحية أو ظاهرية ، وبنية تحتية أو عميقة ، وللتمييز بين هاتين البنيتين قيمة من حيث المعنى))[47] ، أمَّا عن العلاقة بين العدول ، وهاتين البنيتين فإنَّها تتجلَّى في مدى التباعد والتغاير بحيث كلما ازداد التباعد ازداد العدول وضوحاً في النص ، ويخفتُ العدول في النص بمقدار ما تزداد نسبة التطابق بينهما .

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات من طرف الباحثين لتحديد معايير العدول فلَنَّ كل ما تقدَّم من معايير ما هي إلا منطلقات عامة ، وغير نهائية يستأنس الباحث الأسلوبي بها في تبيان العدول ؛ إذْ إنَّ العدول يقوم على المفاجأة والتغيير وعدم الثبـــات ، ومن البديهي أن يعجز معيار واحد في تعيينه دائماً ، ولا مناص إذاً من أنْ تتعـاور مختلف المعايير في ذلك ، وحسبـما تقتضيه تركيبة النص وملابساته .

غـايات العـدول

لم يختلف اللغويون والبلاغيون قديماً ولا علماء الأسلوب حديثاً في كون العدول قوام اللغة الفنية وقطب رحاها ، وأنَّه صميم في المباحث البلاغية والأسلوبية ؛ لأنَّ ((الدراسـة البيانية ترفض أن يكون هناك تغيير في نظم الكلام تستبدل معه كلمة بأخرى لا يتبعه تغيير في المقاصد والأغراض))[48] ،كما

(45) شكري عياد : اللغة والإبداع : (83) .
(46) عبد الجواد إبراهيم : الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث : (117) .
(47) شكري عياد : اللغة والإبداع : (53) .
(48) محمد أمين الخضري : من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : (13) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلّا لِنوعِ خصوصية اقتضت ذلك[49] إلا أن هذه الخصوصية التي أشار إليها ابن الأثير ليست من جنس واحد ، ولا هي باعتبار واحد ؛ كأن يراعى فيها الجانب البياني وحده ، أو الجانب الإيقاعي وحده ، ولا هي من الوضوح بحيث يمكن الوقوف على معالمها بسهولة ، وهذا ما جعل ابن جني يعيب على البلاغيين وقوفهم في تحديدها عند مفهوم الاتِّساع ؛ إذْ ((ليس ينبغي أن يقتَصر في ذكره [أي: العدول]... بما أَلِف أصحاب البلاغة أن يرددوه وهو قولهم: إن فيه ضرباً من الاتِّساع في اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ ، و هذا ينبغي أن يقال إذا عُري الموضع من غرضٍ متعمد وسرٍّ على مثله تنعقد اليد))[50] ، ومما يؤكِّد دقَّة وخفاء العلة في العدول اضطراب أحد كبار البلاغيين والمفسرين _هو الزمخشري_ في تعليلها ؛ إذ نراه يعلِّلُها مرة بالمبالغة فيقول : ((فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت : المبالغة))[51] ، ويردها في موضع آخر إلى تنبيه السامع وإيقاظ إصغائه حين يقول: ((الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع و إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد))[52] ، والواقع أن المتتبع لمواطن العدول في اللغة بشكلٍ عام وفي النص القرآني على وجه الخصوص وما ذكره المفسرون وأهل اللغة لدى تناولهم هذا الدرس يجد أنَّ العدول الصرفي الذي يُعدُّ العـدول الفعلي وتبادل الدلالة الزمنية أحد أنواعه ينتهي إلى غايات ثلاث هي:

-**الغاية المعنوية** المتمثلة في طلب المبالغة وتدقيق الدلالة .

-**الغاية الفنية** التي تظهر في رعاية الإيقاع وضبطه ، أو إضفاء الغموض الفني على العبارة .

-**الغاية التداولية** و يكشف عنها اعتبار حال المتلقي ، أو المخاطب أو السياق الناظم للتواصل ، وهذا بيان ذلك :

أولا / الغاية المعنوية :

إن المتكلم حينما يضرب صفحاً عن صيغة و يطلب أخرى لا يفعــل ذلك إلّا عندما يظهر له أن في الثانية فائدةً تفتقر إليها الأولى ، وإلّا لما عدل إليها ؛ وأولى الفوائد التي يتوخَّاها المتكلم هي فائدة المعنى الذي من أجله كان الخطاب أصلاً ، بدليل أنه لو كان في العدول ما يخلُّ بالمعنى لما جاز ، و قد حدد الزمخشري في بعض مواضع من كتابه الغاية من العدول بالمبالغة[53] ، و الحقيقة أنَّ المبالغة ليست إلا شحنة دلالية إضافية توفِّرها الصيغة المعدول إليها ، كما نبَّه الطاهر بن عاشور إلى أنَّ العدول من صيغة إلى أخرى إنما هو لدلالة متضمنةً في اللفظ المعدول إليه غير موجودة في المعدول عنه[54] .

ونأت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ بالنص القرآني عن استهداف الجانب الشكلي المتمثل في رعاية الفاصلة حفظاً لموسيقى الكلام ، عند تعليلها العدول بين صيغتي المبني للمعلوم والمفعول ، وأكَّدت أن البناء للمفعول إنما جاء لمقتضى معنوي لا يتوفر في الكلام عند استعمال المبني للمعلوم[55] .

---

(49) ابن الأثير : المثل السائر : (2 /5) .
(50) ابن جني : المحتسب : (240/1) .
(51) الزمخشري : الكشاف : (356/2) .
(52) نفسه : (19/1_20) .
(53) الزمخشري : الكشاف : (356/2) .
(54) ينظر: الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير : (56/29) .
(55) عائشة بنت الشاطئ : التفسير البياني للقرآن الكريم : (117/2) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

وإذا كان ((الالتفات بين الصيغ لا يكون لمجرد التوسع في اللغة أو يحمل على أنه من أساليب العرب وعاداتهم في الكلام وإنَّما يكون ذلك لأجل دلالة بلاغية وخصوصية أسلوبية))[56] فإن عز الدين إسماعيل يرى أن في الالتفات ((معنى على قدر كبير من الرهافة والخفاء لا يلفت المتلقي إليه أو البحث عنه إلا إدراكه للتغير الحاصل في النسق اللغوي للخطاب))[57] ، و الحقيقة أن الناقد عز الدين إسماعيل قد وضع يده على قضية بالغة الدقة والأهمية في علاقة العدول بالتلقِّي وهي كسر الرتابة التي تجعل المتلقي يستكين إلى المعاني الأولية للألفاظ ولا يلتفت إلى الدلالات المستكنَّة في ثنايا الملفوظ ، فيكون في العدول عما يتوقعه تنبيه ودعوة إلى المعنى المستتر الذي يحول دون إدراكه اتصافه بالرهافة والخفاء ، مما يجعل الصيغ الأصلية عاجزة عن تعيينه ؛ وعليه يفرض معاودة التنبيه عليه من خلال أدوات أسلوبية في مقدمتها العدول ، فيكون العدول بذلك أداة لبلوغ المعنى .

ويعّلله الدكتور صلاح فضل بـ((وجود صيغ و مشتقات صرفية شفافة ذات أثرٍ أسلوبِي وبخاصة تلك التي تتصل بالمجال العاطفي ... وغيرها من الصيغ التي قد تكتسب دلالة أسلوبيًة جديدة في سياق تفسيري يبرز شفافيتها ويخفف من عتمتها))[58] ؛ بمعنى أن في الألفاظ صيغاً شفافة تُطلب ويعدل إليها، وأخرى عاتمة تُجتنب ويعدل عنها ، وهي نفسها التي تتضمن المعاني التي وصفها عز الدين إسماعيل بالرهافة والخفاء ، إلاَّ أنَّه حين يضيف بأنَّ هذا العدول يضيف _هنا_ بعداً جديداً في دراسة العلاقة بين الصيغ و المعنى ألا وهو البعد النفسي بمعنى الاستفادة من دلالة الصيغة في سياق الكشف عن الأبعاد المسيطرة على المبدع حالة إبداعه[59] يشير إلى فائدة أخرى نقدية و تداولية في آن واحد ، وذلك حين يتحدث عن استغلال الصيغ المعدول إليها في الكشف عن الواقع النفسي والاجتماعي الذي تشكَّلَ في ضوئه الخطاب العدولي ، وهي فكرة نستفيد منها في تحليل الخطاب الموجه من العباد إلى المولى _عز وجلّ_ وكذا الحوادث الدائرة بين كثير من شخوص الخطاب القصصي ؛ ذلك لأن ((المفارقة القرآنية بأنماطها المختلفة أسلوب من أساليب إنتاج الدلالة اللغوية في النص القرآني))[60] .

ثانيا / الغاية الفنية (الإيقاعية) :

إذا كانت غائية الحدث الأدبي تكمن في تجـاوز الإبلاغ إلى الإثارة وكان مجال الأسلوبية هو البحث في الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية[61] فهذا يعني _أولاً_أن الإثارة_ وهي مفهـوم جمالي _ مطلب أساس في الخطاب الأدبي ، وثانياً وبالنتيجة أن في الخطاب خصائص لغوية قمينة بتحقيق هذه الغاية الجمالية وهي ما يتغيَّاها البحث الدلالي ويسعى إليها ؛ ولأن ((ثمة بواعث جمالية تدعو إلى تفضيل مفردة على أخرى في حال التقارب بين دلالتها))[62] فإن النص القرآني كثيراً ما يعمد إلى استبدال صيغة بأخرى ؛ كأن يعبر عن المستقبل بالماضي ، أو المضارع بالمستقبل أو غير ذلك مما سنبينه في موضعه من البحث إن شاء الله .

(56) محروس محمد إبراهيم : البنية الصرفية وأثرها في تغيير الدلالة : (124) .
(57) عز الدين إسماعيل : قراءة جديدة لتراثنا النقدي : (905) .
(58) صلاح فضل : علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة ، فصول مجلة النقد الأدبي : المجلد 5 _العدد 1 : (57) .
(59) عز الدين اسماعيل : قراءة جديدة لتراثنا النقدي : (905) .
(60) محمد العبد : المفارقة القرآنية : (51) .
(61) ينظر : عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب : (35 _36) .
(62) صالح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (150) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

ولما كانت اللغة في أصلها تقوم على السماع والمشافهة فإن البعد الفني فيها إنَّما تستأثر به حاسة السمع أولاً ، ثم آلة الإدراك ثانياً ؛ لذلك فإن أي حديث عن الوظيفة الجمالية لا بُدَّ أن يكون محوره الإيقاع ، و من ثَمَّ ساغ الحديث عن موسيقى الكلام عند تناول البعد الجمالي للعدول ، وذلك من خلال الكشف عن الخصائص الصوتية التي تكفل للمفردة المعدول إليها القبول والاستحسان ، وتجعل مكانها من التعبير يطلبها دون بدائلها ، وتحت هذه الغاية يمكن إدراج كل أنواع المحسنات اللفظية ذات الأثر المباشر على الشحنة الصوتية في العبارة من حيث الإيجاز أو الإطناب ، أو التناغم بين مكونات الملفوظ، وهي المساحة التي يتقاطع فيها العدول الصرفي مع علم البديع أحد فروع البلاغة ، وربما تقاطع حتَّى مع علم التشريح من خلال ارتباط الإيقاع بحاسة السمع ؛ ذلك أنَّه من الأسباب التي تجعل الأذن تضيق بالصوت الرتيب هو أن الصوت الرتيب يوجه الأذن إلى سماع نوع واحد من الإيقاع الفني[63] ؛ لذلك يكون العدول عن الأصل بأثره الإيقاعي عاملاً مريحاً للأذن دافعاً عنها السأم والأذى بما يهيِئُها لتقبل ما يحمله باقي الملفوظ من معان .

ويمكن أن تعلَّق العدول عن مألوف القول بإشاعة الغموض في الملفوظ بنية إطالة أمد الإدراك[64]، ولا يخفى أن الكلام بمعانيه_ إلقاءً وتلقياً _مظروف في الزمن ؛ فكلَّما كان زمن الإدراك أطولَ كان المعنى أشد التصاقاً بالذهن ، وقد قرر الجرجاني : ((أنَّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى ، فكان موقعه في النفس أجلَّ وألطفَ وكانت به أضن وأشغف))[65] ، فكان العدول بذلك أداة إجرائية لتثبيت المعنى .

أما الغاية الفنية الثانية فإنَّها تستمد فنيتها من العلاقة المعنوية التي تقيمها المفردة المعدول إليها مع مفردات الملفوظ ؛ وهو ملحظ يبدو معنوياً ، ولكنَّه ليس كذلك في كلِّ أحواله ، ذلك أن الطباق _مثلاً_ أو المقابلة وإن كانتا ذواتي أثر معنوي لاستغلالهما خاصية التضاد أو التقابل بين المعاني لتقريبها من الأفهام ، إلاَّ أنَّ جمالهما الفني لا ينكَر ، بل لعله أبلغُ أثراً من الأول ؛ لأن الأول يقف عند حدود الأثر الإيقاعي وهو حسي انطباعي ، أما الثاني فإنَّه يحقق المتعة بعد عمليات ذهنية تقوم على حركة الإدراك جيئةً وذهاباً ، بين المتقابلات لتنتهي إلى المفاضلة والترجيح ، وبالجملة فإن ((تحريك الدال من مجاله الدلالي الخاص إلى آخر يقيم ما يسمى بالاتساع أو المجاز ، وبه يكتسب النص بعده التلميحي الذي يستفز المتلقي إلى البحث عن اللذة الأدبية))[66] .

ولما كانت إثارة المتلقي واستفزازه غاية يسعى إليها البليغ فإن التلميح أغنى من التصريح ، وفيه ما ليس في التصريح من استنفار لقوى التلقي ، و غني عن البيان أن التلميح ألصق بالعدول من التصريح لما يتضمنه من جهد يبذله المتلقي في طلب المعنى يغيب في حال التصريح ، وقد سبق القول إن: ((الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطريةً لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد))[67] إلاَّ أن ابن الأثير كان قد تعقَّب الزمخشري في قوله المتقدم فقال : ((لو سلَّمنا للزمخشري ما ذهب إليه لكان إنَّما يوجد ذلك في الكلام المطول ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ؛ لأنَّه

(63) جان ماري جوبو : مسائل فلسفة الفن المعاصرة : (69) .
(64) ينظر : ايفانوكس خوسى ماريا : نظرية اللغة الأدبية : (46) .
(65) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : (106) .
(66) صالح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (49) .
(67) الزمخشري : الكشاف : (1/19_20) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبـة في مواضع كثيرة من القرآن ويكون مجمـوع الجانبين مما يبلغ عشـرة ألفاظ أو أقــلَّ من ذلك))[68] وكأنَّنا بابن الأثير ينظر إلى النص القرآني في هذه المسألة نظرة مجزأة فيعتبر كلَّ فقرة على حدة ، و لكن المعتبر في النص هو الكل لا الجزء ذلك أن الملامح الفنية التي يشارك العدول في إيجادها قد تتجاوز العبارةَ الواحدةَ إلى السورة كلها لتعطي إيقاعاً نغمياً مخصوصاً بكلِّ سورة ؛ بل إنَّه يتجاوز إلى مجموعة من السور ، فتتناغم السورة الواحدة مع سابقتها ، أو لاحقتهـا ؛ لتعطي جرساً نَغَمياً مميزاً يشير إلى ما بين السور من اشتراك في المعنى ، فيعتضد الصوت بالدلالة ، وهو ما بحثــه القدامى تحت مصطلح (المناسبة) وكتب فيه السيوطي مؤلَّفه الشهير (تناثر الدرر في تناسب السور) كل ذلك يعني أن العدول ، أو ((الانزياح يضفي على الخطاب الأدبي قيماً جمالية ويمنحه طاقات إيحائية ويعين على استكناه أغوار النص في محاولة للوصول إلى دلالاتها الغائبة البعيدة))[69] ، وإذا كان هذا حال العدول في الخطاب **الأدبي فما القول فيه وهو في القرآن الكريم الذي وسـع اللغة دلالـة وفناً ؟!**

ثالثا/ الغاية التداولية :

إن اعتبار حال المتلقي عند إنشاء الخطاب من أهم المرتكزات التي قامت عليها البلاغة العربية ولخَّصتهـا العبارة الشهيرة: (لكلِّ مقام مقال) التي تَضرب للمتلقي سهماً وافراً في بناء العبارة ، وتجعله شريكاً في إنتاج الخطاب ؛ فيضطر المتكلم إلى صياغة خطابه وفق أصناف المخاطبين ومستوياتهم ، ووفق حالاتهم النفسية ومقاماتهم الاجتماعية ؛ فيلغي من ملفوظه كلَّ ما يأباه مقام التلقِّي بطرح صيغ وطلب أخرى ، وفي ذلك يقول (مارسال كريسو) : ((إن انعكاس حضور المتقبل على صفحات الخطاب يُعلم عِلْم الضرورة ، وهو ما يمكن استغلاله في بلورة الأبعاد السوسيولوجية والنفسية في الظاهرة اللغوية))[70] ، ويعــدُّ المسدي الأسلوب ضغطاً مسلَّطاً على المتقبِّل بحيث لا يلقي الخطاب إلا وقد تهيَّأ فيه من العناصر الضاغطـة ما يزيل عن المتقبِّل حرية ردود الفعل))[71] ؛ بمعنى أن الخطاب تصطرع في تشكيله قوتا المتكلم والمتلقي ، وأن الأول يستفرغ الجهد في استهداف مداخل التلقي لدى الثاني بمراعاة المقامات المختلفة ، وهي لا تسمح دائماً باستعمال الأصل اللغوي ؛ إذ ((قد تقتضي مسايـرة التعبير للحالة النفسية أن تُخرج التركيب عن مقتضى الظاهر ... كأن يأتي بالتركيب على خلاف أصله))[72] .

وليست الحالة النفسية للمتلقي وحدها المعتبرة في بناء الخطاب ؛ إنَّما هي أنموذج لِما يمكن أن يقع تحته المتكلم من ضغوط عائدة إلى اعتبار حال المتلقي ، وإلّا فإن ما يؤثِّر في بناء الخطاب كثير و متنوع ؛ منه المكانة الاجتماعية التي تفرض _مثلاً_ خطاب الواحد بلفظ الجماعة ؛ كالذي نجده في مخاطبة الملوك والرؤساء وذوي المناصب ، أو الرغبة في تشريف المخاطب والرفع من شأنه على نحو ما نجده في إضافة لفظ (عبد) العائد إلى الرسول_صلى الله عليه وسلم_إلى ضمير الـذات الإلهيـة في مثل قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾(الكهف:1)وهي إضافة

---

(68) ابن الأثير : المثل السائر : (4/2) .
(69) صالح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (203) .
(70) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (80) .
(71) نفسه : (81) .
(72) صلاح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (373) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

تشريف وتنويه كما نص على ذلك المفسرون[73] ، ومثلها إضافة لفظ (عباد) الدالة على المسلمين إلى ضمير الذات الإلهية ، أو واحد من أسماء الله الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ﴾(الفرقان: 63) ، ومنه إرادة التهكم ، أو إرادة التودد في صيغ المبالغة ، وغير ذلك كثير .

وإذا كان ((التنوع في الأسلوب ذا أثر بالغ في مستوى التلقي))[74] ، وكان العدول شكلاً من أشكال تنويع الأسلوب فإنَّه فضلاً عن ذلك لا يُكتفى فيه بمظهر واحد أو نوع واحد ولكن ((قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسباً طردياً بحيث كلَّما كانت غير منتظرة كان وقعها على نفس المتقبل أعمق))[75] ، كما أن ((الطاقة التأثيرية لخاصية أسلوبية تتناسب عكساً مع تواترها فكلما تكررت الخاصية نفسها في نص ضعفت مقوماتها الأسلوبية ، معنى ذلك أن التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجياً))[76] ، وهذا ما يوجب على باني الخطاب دوام اليقظة ، والحذر من الوقوع في التكرار أو الغفلة بتضمين خطابه أنواعاً من العدول تلامس في كلِّ مرة جانباً من جوانبه وتجعله يتقبل الرسالة بقبول حسن .

ذلك في الكلام البشري أما في القرآن الكريم فإن ما تقدَّم من التأكيد على حاجة المتكلم إلى التنويع في الأسلوب وعدم تكرار الأشكال التعبيرية هو ما يفسر ثراء النص القرآني بغير قليل من أشكال العدول وبخاصة في المستوى الصرفي ذلك أن الصرف موضوعه المفردات المشتقة_أسماء وأفعالاً_ وهي أكثر أنواع الكلم طواعية وقبولاً لتصريفها بما يرضي المتلقي ويشبع حاجته الفنية والبيانية ، وهي حاجة يؤكدها تنوع الفئات المخاطبة بالقرآن الموصوف بصلاحيته لكل زمان ومكان ؛ والقرآن كتاب فن وجمال كما هو كتاب تشريع وبيان .

صور العدول الفعلي في التعبير القرآني

انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الذي علا وسما على كلّ أسلوب ؛ إذْ تميَّز بألفاظه المنتقاة`ذات الدلالة الفائقة ، هذا إلى جانب تراكيبه وجمله التي تعدُّ إعجازاً لا يدانيه إعجاز ، فحيثما تقلّب نظرك بين آياته ترى التفنن العجيب والتنوع الذي يبهر كل أديب ، فتؤدي الكلمة فيه بصيغة معينة ما لا تؤديه كلمة أخرى بوزن معين وطريقة مبتكرة مما يضيف إلى معنى الكلمة معانٍ ودلالات لا تتأتى إلا من خلال الصيغة التي جاءت بها ، ومما زاد الأمر عذوبة وإعجازاً ذلك العدول الذي نلمحه في كثير من استخدامات الصيغ الفعلية التي تخللت أسلوبه العظيم ، فتجده أحيانا يستخدم صيغة فعلية ما ، ثم يعدل عن هذا الاستخدام إلى صيغة أخرى في موضع آخر لما يتطلبه الموقف من دلالات إضافية لا تقبل التبديل أو التغيير .

إنَّ اللغوي المحنَّك يتخيَّر هذه الصيغة ، أو تلك لغاية يرمي إليها ، و ربَّما يتجاوز المعنى الأصلي إلى معنى آخر يلغز من خلاله إلى دلالة زائدة على الأصلية ، وقد يكون اللفظ شيئاً ، ودلالته شيئاً آخر، ومن هنا تنشأ قواعد عدّة تخرج على القاعدة الأم تسمَّى فروعاً ، أوتوسعاً ، أو انحرافاً ، أو عدولاً ، أو غير ذلك منها : استعمــال الماضي ، أو المضارع ، أو الأمر في اللفظ ، والمقصود ضدَّه في المعنى ،

(73) ينظر مثلا : الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير : (247/15) .
(74) صالح ملا عزيز : جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : (334) .
(75) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب : (86) .
(76) نفسه : (86) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

وهــذه الأقسام الثلاثة للفعــل رغم دلالالتها المختلفة من حيث الزمــن على سبيل الحقيقة إلا أنَّ العرب توسَّعت فيها ، فأوقعت بعضها موقع بعض مجــازاً ، وقيــل : ((وجه استجازتهم هذا الإبدال مع تضاد الأفعال أنَّ الأفعال جنسٌ واحدٌ وإنما خُولف بين صيغتها لتدل كل صيغة على زمان غير الذي تدل عليه الأخرى، وإذا تضمَّن الكلام معنى يزيح الإلباس جاز وضع بعضها في موضع بعض توسعاً)) [77]، وقد حاول البحث في هذا الموضع تصنيف صور العدول الفعلي في التركيب اللغوي فكانت على النحو الآتي:

أولاً : عدولات الماضي : وتتمثل في :
_ العدول من الماضي إلى المضارع .
_ العدول عن الماضي إلى الأمر .
ثانياً : عدولات المضارع : وتشمل :
_ العدول عن المضارع إلى الماضي .
_ العدول عن المضارع إلى الأمر .
ثالثاً : عدولات الأمر وهي :
_ العدول عن الأمر إلى المضارع .
_ العدول عن الأمر إلى الماضي .

عدولات الفعل الماضي

الماضي: ((هو الحدث المقترن بالزمن الماضي))[78] ، وقيل هو : ((مادلَّ على حدوث شيء قبل زمن التكلم))[79] ، وعلامته أنْ يقبل تاء القاعل نحو (قرأتُ) وتاء التأنيث الساكنة نحو: (قرأتْ هند) ، ولكن قدْ يُعدل عن هذا المعنى الاصطلاحي إلى معانٍ أخرى ؛ إذْ يأتي الماضي بمعنى المضارع أحياناً وبمعنى الأمر أحياناً أخرى .

أولا: العدول عن الماضي إلى المضارع :

عدلت العرب عن الماضي إلى المضارع لغرض بلاغي ، وقد قرر علماء البلاغة أنّ المضارع في هذه الحالة يقصد به **استحضار صورة حدث في الماضي ، وكأنه أمرٌ مشاهدٌ بارز للعيان** ، وهذا من البلاغة ، فيكون التعبير بالفعل المضارع أبلغ من الماضي ، يقول ابن الأثير: ((واعلم أنّ الفعل المستقبل إذا جيء به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ؛ وذلك لأنّ الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة حتى كأنّ السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي))[80] .

وقال ابن قيِّم الجوزية: ((قصدت العرب بالإخبارعن الفعل الماضي بالمستقبل ؛ لأنَّ الإخبار بالفعل المضارع إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعـل الماضي ؛ وذلك لأنَّ الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة حتَّى كأنَّ السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي))[81] ، وقال أيضا في موضع آخر : ((الفعـل المضارع إذا أخبر به عن الماضي

(77) ابن الشجري : أمالي ابن الشجري : (68/1) .
(78) خالد الأزهري : شرح التصريح : (45/1) .
(79) أحمد الحملاوي : شذا العرف : (56) .
(80) ابن الأثير: المثل السائر : (15/2) .
(81) ابن قيم : الفوائد المشوق : (102) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

فإنَّ الغرض بذلك تبيين هيأة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنَّه يعاينها أو يشاهدها))[82] .

ومجيء المضارع للدلالة على حدث قد مضى كثير في النص القرآني ، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْــوىَ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾(البقرة:87) ، ففي هذا السياق حصل عدول عن الفعل الماضي: (قتلتم) ، إلى الفعل المضارع: (تقتلون) ، وكان مقتضى السياق يوجب المطابقة الزمنية بين الأفعال على النحو الآتي: (ففريقاً كذّبتم ، وفريقاً قتلتم) لا سيما أنَّه يتحدَّث عن أمر حدث في الزمن الماضي ، من تكذيب اليهــود للأنبياء وقتلهم إياهم ، لكن السياق تحول عن الماضي إلى المضارع ؛ لأنّ قتل الأنبياء أمر فظيع ، فأراد استحضاره في النفوس ، وتصويره في القلوب[83] ، فللفعل الماضي زمانان ؛ زمن حدوث ووقوع ، وزمن إخبار عنه ، وهو ما أشار إليه الزجاجي بقوله : ((والفعل الماضي ما تقضى ، وأتى عليه زمانان ، لا أقل من ذلك ، زمان وُجِد فيه ، وزمان خُبِّــر فيه عنه))[84] ، فإذا أخذنا بدلالة الماضي ، كانت دلالة الفعل : (تقتلون) ، تفيد استحضار الصورة لحدث مضى في الزمان ، وإذا أخذنا بما توحيه الحادثة من استحالة حصول الفعل ، وتحققه بالنسبة إلى هذا النبي ، كانت دلالة الفعل: (تقتلون) ، تفيد تجدد محاولة الفعل منهم والاستمرار ، والجمع بينهما نوع من الانفتاح الدلالي للنص القرآني .

ويُعدُّ هذا الانفتاح الدلالي من بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ؛ إذْ تمّ توظيف القيمة الزمنية في صياغة الفعل للحصول على فروع تتعدد فيها دلالات الفعل وتتسع ، كما أنَّ هـذا الانفتاح الدلالي الذي أحدثه العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع نوَّه إليه معربو القرآن ومفسَّروه، فقيــل عند تفسير الآية إنَّ المعنى: (وفريقاً قتلتم) ، وقيل أيضاً: جيء بفعل القتل مضارعاً ؛ لأنَّ التعبير بالفعل المضارع دون الماضي مفيدٌ لسببين:**أحدهما:** أن يُراد الحال الماضية؛لأنَّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب ، **و الثاني:** أنْ يُراد فريقاً تقتلونهم بعد ؛ لأنَّكم حاولتم قتل محمد _عليه الصلاة السلام_لولا أنْ أعصمه الله منكم ؛ لذلك سحرتموه وسممتم له الشاة ، وقيل: يجوز أن يكون القول حكاية عن حال ماضية[85] .

كذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَــرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ**﴾(البقرة:102)، فالفعل (تتلو) مضارع في معنى الماضي ،أي:(ما تلت)،والمعنى: (ما كانت تتلو) ، ولا يُراد من ذلك أنَّ (ما) محذوفة ، بل المُــراد أنَّ المضارع وقع موقــع الماضي كما أنَّك إذا قلت : (كان زيدٌ يقومُ) فهو إخبار بقيام زيد في زمن ماضٍ ؛ لدلالة كان عليه[86] .

وهــذا ما أطْلــق عليه الزمخشري مصطلح: (حكاية الحــال) ، عند تفسيره قوله تعالى : ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَــاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْــدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾(فاطر:9) ((فإنْ قلت لِمَ جاء: (فَتثير) ، على المضارعة دون ما قبله وما بعده ؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارةُ الرياحِ السحابَ ، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية))[87] .

---

(82) ابن قيم : الفوائد المشوق : (103) .
(83) الزمخشري : الكشاف: (151/1) .
(84) الزجاجي : الإيضاح في علل النحو : (87) .
(85) ينظر : ابن قيم : الفوائد المشوق : (33) ، أبو حيَّان : البحر المحيط: (301/1) ، الفخر الرازي: التفسير الكبير : (191/3) .
(86) أبو حيَّان : البحر المحيط : (326/1) .
(87) الزمخشري : الكشاف : (624/3) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

وقد يكون العدول عن الماضي إلى المضارع لحكاية الحال الماضية ؛ إذ إنّ حكاية الحال لا تقتصر على المضارع ، بل تتعداه إلى الماضي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَــغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾(الصافات:102) حيث عدل عن الماضي (رأيت) إلى المضارع (أرى) ، وفي هذا العدول ((نقلٌ للحدث من وقت الرؤيا إلى وقت الخطاب مما يوحي بأن إبراهيم _عليه السلام_ شعر بالأمر الإلهي يحاصره ويطوقُه في كل أوقاته ، يستفاد من ذلك أن إبراهيم _عليه السلام_وكأنّه يعتذر من ابنه بأنه لا قبل له برد هذا المكروه[88] .

وذكر ابن هشام ((أنهم يعبــرون عن الماضي والآتي كما يعبــرون عن الشيء الحاضر قصداً لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة الإخبار ... [وقد] قصد بقوله_سبحانه وتعالى_ (فَتثير) إحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب تبدو أولاً قطعاً ثمّ تتضام متقلّبة بين أطوار حتى تصير ركاماً))[89] وكما أنّ العدول في صورة الفعل (تثير) سيق لحكاية الحال التي تدل على الدهشة والانبهار والإعجاز ، فكذلك له دلالة زائدة على الدلالة الأولى ، هي استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة[90] ، فالسياق هو الذي أضفى على الفعل المضارع في هذه الحالة دلالة زمنية معينة ، وذلك من عطف الفعــل المضارع على الفعــل الماضي ، إذ يقتضي السياق بموجب المطابقة الزمنية أن تجري الأفعال الواردة فيه على نسق واحد ، يقول السيوطي: ((وما عطف على حال أو مستقبل أو ماضٍ أو عطف عليه ذلك فهو مثله ؛ لاشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين))[91] .

والحقيقة أنَّ مجيء الفعل المضارع خارجاً عن النسق العام للسياق ؛ يؤدي إلى توليــد دلالتين بارزتين في السياق ، دلالة نحوية متمثلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر أو المستقبل ، ودلالة سياقية متمثلة في الإشارة إلى الزمن الماضي ، وذلك بالعطف على الماضي ، أو مجيئه بعده ، فالدلالة السياقية تقتضي مضيه ، والدلالة النحوية للصيغة تقتضي استحضاره ، فيجمع بين الدلالتين ليقال: إنه الماضي الحاضر ، أو بعبارة فندريس (المضارع التاريخي) ، وذلك ((استعمال شائع في الحكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي ، وفيه يجد المثقفون سحراً خاصاً ، يقولون بأنّ الحاضر أكثر تعبيراً أو أبلغَ ، حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحديث))[92] .

وقد تكون الغــاية من العدول الفعلي في السيــاق الدلالة على **تجدد الحدث واستمراره ، والدلالة _أيضاً_على إطالة مشهد الحدث ، والتركيز على نتيجة الحدث** ، ومن السياقات التي يدل فيها العدول على التجدُّد والاستمرار ، قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِــنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِــنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد :28) ؛ إذْ عُدِل عن الماضي (اطمأنت) إلى المضارع: (تطمئن) ، لدلالته على تجدد الاطمئنان ، واستمراره ؛ وأنه لا يتخلله شك ولا تردد ، ولو جرى السياق على نمطٍ ماضٍ واحد: فقيل : (الذين آمنوا واطمأنت قلوبهم) ، لَما أفاد معنى التجدد والاستمرار الذي نجده في زمن المضارع الذي أضفى دلالة الزمن المفتوح في الماضي والحاضر والاستقبال ، فقلوبهم قد اطمأنت بذكر الله منذ الزمن

(88) ينظر : عبد الحليم حفني : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم : (164) .
(89) ابن هشام : مغني اللبيب : (501/2) .
(90) ابن الأثير : المثل السائر : (15/2) .
(91) السيوطي : همع الهوامع : (23/1) .
(92) فندريس : اللغة : (138) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

الماضي ، وما تزال تطمئن في الحال والمستقبل ، في حين ورد ذكر الإيمان بصيغة المضي: (آمنوا) ؛ لإفــادة معنى الحصول والتحقق ، فهو ثابت متحقق كتحقق الماضي .

ومن الآيات التي فيها دلالة على إطالــة مشهد الحدث ، قوله تعالى : ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَــرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْــوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَــانٍ سَحِيقٍ**﴾(الحج :31) ؛ إذ عُدِل عن الماضي: (خطفته ، هوت) ، إلى المضارع : (تخطَّفه ، وتهوي) ؛ لأنّ الفعل الماضي يدل على تحقق الوقوع والحصول ، فبدأ بفعل الخرور للدلالة على سرعة وقوعه وحصوله من قبل الله_تعالى_على المشرك ، ثمّ عدل إلى المضارع فقال: (فتخطُفه ، أو تهوي) ؛ لاستحضار صورة خطف الطير إياه ، وهوي الريح به[93] ، فكان العدول إلى المضارع لاستحضار المشهد وإطالته ، وأمعن في إطالة مشهد الهوي ، أيضاً مجيء الحرف (في) الذي أفاد _هنا_ الإمعان في تصوير التسفل والسقوط ، وكأنّ المكان السحيق قد أصبح ظرفاً ووعاءً له لا ينتهي فيه إلى قرار ، ولو قال : (إلى مكان سحيق) ، لأفاد انتهاء الهوي به إلى منطقة معينة ؛ لأنَّ : (إلى) لانتهاء الغاية ، و (في) للظرفية المكانية والوعاء ، وذلك يوحي بالتهديد الشديد والوعيد لمن كانت هذه حاله ، ولو جرى التركيب القرآني على النمط نفسه فبدأ بالماضي وانتهى بالماضي ، لكان الحدث عادياً ليس فيه أي لفت للانتباه ، وبالعدول أصبح للتركيب جماليته ، ((فنقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر أنشط للإصغاء ، وأعظم شوقاً للسامع إلى سماعه ، وأكثر تحريكاً للداعية إلى قبوله من أن يكون على أسلوب واحد))[94] .

ومثلما يُعدل عن الماضي المثبت إلى المضارع المثبت فيُفيــــدُ دلالة جديـــدة يُعْــدل _أيضاً_ عن الماضي المنفي إلى المضارع المنفي ، فيفيد الفعل المضارع في هذه الحالة تأكيد النفي ، وليس استحضار الصورة ؛ كما هو الحال مع المضارع المثبت ، وهذا ما ذهب إليه ابن جني إذ قال: ((ومنه قولهم :لمْ يقم زيد ، جاؤوا فيه بلفظ المضارع ، وإن كان معناه المضي ؛ وذلك أنّ المضارع أسبق رتبة في النفس من الماضي ، ألا ترى أنّ أول أحوال الحوادث أن تكون معدومة ، ثمّ توجد في ما بعد ، فالمضارع معدوم باعتبار أنه لم يقع بعد ، أما الماضي فقد وقع وانتهى ، فإذا نفي المضارع الذي هو الأصل فما ظنك بالماضي الذي هو الفرع))[95] ، وفي هذا النفي نوع من التوكيد ، فالتعبير بالمضارع المنفي بدلاً من الماضي لا يفيد عند ابن جني استحضار الصورة ، كما يفيد التعبير بالمضارع بصفة عامة ، ولكنه يأتي لإرادة التوكيد .

وبناء على ما تقدَّم ؛ يمكن فهم سر العــدول في سياق قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ (المؤمنون: 76) فالمتوقع من سياق الأفعال في هذه الآية أن تكون على النحو الآتي: (فما استكانوا لربهم ، وما تضرَّعوا) ، لكن السياق القرآني تحوَّل عن الماضي المنفي إلى المضارع المنفي ، وقد يكون السبب في ذلك أنّ حالة التضــرع هي مرتبة أعلى في الخضوع من الاستكانة نفسها ؛ إذ التضرع ضرب من الإمعان في الابتهال ، والخشوع واللجوء إلى الله تعالى ، على سبيل التجــدد والاستمرار ، فنفي ما هو أدنى يستلزم من باب أولى التأكيد في نفي ما هو أعلى رتبة ، فإذا انتفت الاستكانة منهم ، فمن باب أولى ينتفي حصول أدنى تضرُّع منهم ، لذا تحوَّل السياق في النفي عن الماضي إلى المضارع ؛ فنفي المضارع أشدُّ تأكيداً من نفي الماضي ، فوافق المقال مقتضى الحال ،

---

(93) ابن الأثير : المثل السائر : (17/2) .
(94) العلوي : الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : (435) .
(95) ابن جني : الخصائص : (105/3) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

وعبّر في التضرع بالمضارع ليُفيد الدوام و الاستمرار ، غير أنّ المراد دوام النفي ، ولو جــرى السياق على النمط المتوقع ، فقيل: (فما استكانوا لربهم وما تضرعوا) لكان المقصود: (وما تضرَّعوا التضرع المطلوب لرفع البلاء ، وكشف العذاب) ، وإنما جاء: (وما يتضرعون) ؛ لنفي حصول أدنى شيء من التضرع أصلاً ، وكما يكون العدول عن الماضي إلى المضارع يعدل كذلك عن الماضي إلى الأمر:

ثانياً العدول عن الماضي إلى الأمر

يُعدل كذلك عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر الذي يُراد منه طلب حصول الفعل [96] ، وإنّما **يُفعل ذلك توكيـــــداً لما أجري عليه فعــل الأمر ؛ لمكان العناية بتحقيقـــه** ، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِـــدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُـــودُونَ﴾** (الأعراف:29) هــذا الرأي والتمثيل هو ما ردده غير واحد من البلاغيين توضيــحاً لصورة العدول عن الماضي إلى الأمر ؛ إذْ صرَّح ابن الأثير بأنَّ تقدير الكلام_ في الآية_ عنده : (أمر ربي بالقسط وبإقامة الوجوه عند كل مسجد...) فعــدل عن ذلك إلى فعــل الأمر (أقيموا) ؛ للعناية بتوكيده في النفوس ؛ لأنَّ الصلاة من أوكـــد فرائض الله على عباده ، ثمَّ أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب [97] في حين ذكر العلوي أنَّ التقدير في الآية على: (أمر ربي بالقسط ، وأمركم بأنْ تقيموا وجوهكم)[98] .

ويقف البحث بداية عند تقدير ابن الأثيــر للعدول ؛ لأن تقديره ذاك يخرجه من حيّــز الصورة التي أراد الاستشهاد لها _ونعني صورة العدول عن الماضي إلى الأمر_ فإنْ كان المعدول عنه حسب تقديره هو: (وبإقامة وجوهكم) فإنَّ مؤدَّى ذلك أنَّ فعل الأمــر (أقيموا) ليس معطوفاً على الفعل الماضي (أمر)، بل على المصدر بـــ(القسط) ، وعلى ذلك فإنَّ العدول يكون من باب العدول عن صيغة الاسم إلى الفعــل _و هذا ليس مجال البحث هنـــا_ والواقع أنَّ البحث لا يسلِّم بأنَّ في الآية الكريمة عدولاً على أي صورة من صور العــدول الفعلي ، فـ(أقيموا) ليس معطوفاً على بـ(القســط) كما يبدو من عبارات ابن الأثير ، ولا على الفعل (أمر) كما يبدو من استشهاده بالآية في هذا الموضع ؛ إذْ إنَّ هذا أو ذاك يقتضي أن يكون الخطاب الماثل في هذا الفعل موجَّهاً إلى المشركين الذين أخبــر عنهم الحق _سبحانه_ قبل هذه الآية مباشرة بقوله : **﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَـــاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**(الأعراف:27_ 28) .

وسواء سلَّم البحث بتقدير ابن الأثيــر ، أو بتقدير العلوي للعدول كان الخطاب موجَّهاً إلى هؤلاء المشركين الذين جاءت الآية رداً على تقوُّلهم وادعائهم الكاذب وهذا غير مسلَّم به ؛ **إذْ كيف يتوجَّه الأمر بالصلاة وإقامة الوجوه عند كل مسجد إلى هـؤلاء الذين لم يمس الإيمـــان قلوبهم أصلاً ، والذين هم دائبون على موالاة الشياطين والافتراء على الله عز وجل ؟!**

أمَّا ما يميل إليه البحث_في هذا الموضع_فهو أنْ تكون صيغة الأمر (أقيموا) معطوفة على صيغة الأمر السابقة في صدر الآية (قل) وفي الآية على هــذا التقدير _الذي ينتفي معه القول بالعدول_ أمران موجَّهان من الله _تعالى_ إلى نبيه _صلوات الله عليه_ وهما: **الأول:** أنْ يُعلن النبي لهؤلاء المشركين _دحضاً لادعائهم وافترائهم على الله_أنَّه سبحانه إنما يأمر بالقسط ، **والثاني:** أن يلتزم النبي و المؤمنون

(96) أحمد الحملاوي : شذا العرف : (57) .
(97) ابن الأثير : المثل السائر: (14/2) .
(98) العلوي : الطراز : (137/2) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

جادة السلوك الإيماني الأمثل في إقامة الشاعر وإخلاص العقيدة .

عليه فإنَّ البحث في صور العدول عن صورة العدول عن الماضي إلى الأمر لم يقف سوى على هذا الاستشهاد من جانب بعض البلاغيين وهو استشهاد يحتـــاج إلى نظر وإعـادة تأمل مما يدفع البحث إلى القول بعدم تحققه في الخطاب القرآني .

ثانياً : عدولات المضارع

قيــل إنَّ الفعل المضارع هو: ((الحدث المقترن بأحد الزمانين الحـال أو الاستقبال))[99] ، وقيل: ((المضارع مادلَّ على حدوث شيء في زمن التكلُّم أو بعده))[100]نحو: (يقرأ، ويكتب) فكلاهما صالح للدلالة على الحال والاستقبال ، ويعيَّنه للحال (لام الابتداء) ، ويعينه للاستقبال (السين ،وسوف، ولن، وأنْ، وإنْ) ، وعلامته أنْ يصح وقوعه بعد (لم) ، ولابدَّ أن يكون مبدوءاً بحروف (أنيـــت) التي تُسمَّى (أحرف المضارعة) ، ولكن عُدل عن هـــذا المعنى الاصطلاحي إلى غيره ، وسيذكر البحث في هـذا الموضع صور عدولات المضارع :

أولاً:العدول عن المضارع إلى الماضي:

يُخبر بالماضي عن المضارع _أحياناً_ لأغراض بلاغيـــة ، وفي ذلك يقـــول ابن قيم الجوزية: ((الفعل الماضي إذا أُخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وآكد وأعظم موقعاً ، وأفخم بياناً ؛ لأنَّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنَّه قد كان وجـــد وصـــار من الأمـــور المقطوعة بكونها وحدوثها))[101] .

ويتحقق هذا النوع من العدول عندما يعبر عن الأحداث المستقبلية بصيغة الماضي كما في قوله تعالى : **﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَـــالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعـــاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِـــنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ﴾**(إبراهيم: 21) **ويراد به الدلالة على تحقق وقوع الفعل** ؛ (فبرزوا) في الآية بمعنى: (يبرزون يوم القيامة) ، وإنَّما جيء بالفعل بلفظ الماضي ؛ لأنَّ ما أخبر به الله _تعالى_ لصدقة وصحته فإنَّه قد كان ووُجِد ، وقيل : ورد الفعـــل بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال ؛ لأنَّ كل ما أخبـــر الله _تعالى_ عنه صدقٌ وحقٌ فصار كأنَّه قد حصل ودخل في الوجود[102] .

وفي قوله تعالى: **﴿أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوه سُبْحَانَه وَتَعَـــالى عَمَا يُشْرِكُون﴾** (النحل:1) ورد الفعل (أتى) في الآية الكريمة فعلاً ماضياً صرفاً ، إلا أنّ السياق الذي ورد فيه يضفي عليه دلالة الاستقبال ؛ لأن القرينة اللفظيّة (فلا تستعجلوه) تفيد عدم وقوعه بعد ، إلا أن حتمية وقوعه لا محالة وهو أمر قاطع يتنافى مع الشك والاحتماليّة ؛ لذا حدث العدول فاحتملت صيغة الماضي صرفياً معنى المستقبل سياقياً ، لأجل ذلك وظّفت هذه الصيغة وتمّ العدول عن المضارع إلى الماضي[103] .

وفي قوله تعالى: **﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَـــزِعَ مَن فِي السَّمَـــــاوَاتِ وَمَـــن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾**(النمل:87) عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ؛ وذلك للدلالة على وقوع الفعل وتحققه ، حيث قـــال : (فزع) بعد أن قال: (ينفخ) ومعلوم أن النفخ في الصور وفَزع الناس منه حدث لم

(99) خالدالأزهري : شرح التصريح : (44/1) .
(100) أحمد الحملاوي : شذا العرف : (56) .
(101) ابن قيم : الفوائد المشوق : (32) .
(102) ينظر : الزمخشري: الكشّاف: (534/2) ، الفخر الرازي: التفسير الكبير: (109/19) ،القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : (288/9) .
(103) ابن قيم : الفوائد المشوق : (32) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

يقع بعد ، والعـدول صريح في التعبيـــر عنه بالفعل الماضي ؛ لأنَّه ((إنَّما قال: (فَفَزِع) بلفظ الماضي بعد قوله : (يُنْفَخُ) وهو مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع وكأنه كائن لا محالة لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به))[104] .

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ**﴾(الروم: 51)حسُن وقوع الماضي في موضع المضارع ؛ لما في الكلام من معنى المجازاة ، والمجازاة لا تكون إلا مستقبـلاً ؛ إذ المعنى في : (لظلُّوا) (ليظلّن) فالفعل ماضٍ من جهة اللفظ ، ومستقبل من جهة المعنى ؛ لأنَّ الشرطقيـد فيه وهو في معنى ليفعلن[105] .

وتعبيراً عن تحقق الحدث قال تعالى في موضع آخر ﴿**إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ** ﴾ (الممتحنة: 2) ؛ إذْ بيَّن ابن جني أن وقوع الماضي في جــواب الشرط موقع المضارع يدلّ على تحقق الوقوع ، لأن المضارع مشكوك في حصوله ، فإذا أردت أن تجعل الشيء غير الواقع بمنزلة الواقع ، عدلت عن المضارع إلى الماضي للتوهم بأنه قد وقع وحصل ، كقولهم: (إِنْ قمْتَ قمْتُ) ، فـــ((يجيء بلفظ الماضي ، والمعنى معنى المضارع ؛ وذلك لأنه أراد الاحتياط للمعنى ، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه ، حتى كأن هذا قد وقع واستقر، لا أنه متوقّع مترقّب))[106] ؛ فالإنسان إذا أحبَّ شيئاً أو تعلّق به ، فلكثرة دورانه في خلده ، وفي نفسه يظن أنّ هذا الشيء قد تحقَّـق فيعبر عنه بالفعل الماضي ، ظناً منه أنه تحقّق بالفعـل ؛ لأنّ ((العرب إذا أرادت المعنى مكّنته ، واحتاطت له))[107] .

و ذكر الزمخشري في الآية السابقة أن العدول عن المضارع إلى الماضي فيه نكتة ، وهي **التَّنبُه إلى الزمن** ، فالماضي أسبق في الحصول من المضارع ، وذلك في قوله: ((إن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ، ثم قال: وودوا ، بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب ، فإنّ فيه نكتة ، كأنه قيل: ودُّوا قبـــل كلّ شيءٍ كفركم وارتدادكم ، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس ، وتمزيق الأعراض ، وردكم كفاراً ، أسبق المضار عندهم لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ، لأنكم بذّالون لها ، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد شيء عند صاحبه))[108] .

وذهب السكاكي إلى أن صيغة الماضي_ههنا_تدل على تحقق الحدث وحصوله لا محالة فـ ((ترك يود ، إلى لفظ الماضي ، إذْ لم تكن تحتمل ودادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم ، أي يثقفوهم أعداء لهم ، وباسطي الأيدي ، والألسنة إليهم للقتل والشتم))[109] .

إنَّ دلالة العدول عن الفعل المضارع إلى الفعل الماضي تُفهم من السياق نفسه ، مقارنة بين الفعلين _الفعـــل الأصلي المعدول عنه ، والفعـــل المعدول إليه_ والدلالات التي يحتملها كلّ فعـــل ، وأحيانا أخرى قد تكون القرائن (المعنوية ، أو اللفظية) داخل التركيب هي المعينة على تحديدزمن الفعل ، ومن

(104) ابن قيِّم : الفوائد المشوق : (32) ، الفحر الرازي: التفسير الكبير: (220/24) ، الزمخشري: الكشاف: (429/3) .
(105) ينظر: سيبويه : الكتاب : (108/3) ، القيسي: مشكل إعراب القرآن : (114/2) ، الزمخشري : الكشاف : (516/1) ، أبو حيَّان : النهر الماد : (178/7) .
(106) ابن جني : الخصائص: (105/3) .
(107) نفسه : (101/3) .
(108) الزمخشري : الكشاف : (377/4) .
(109) السكاكي : مفتاح العلوم : (240) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

هنا يؤكد البحث أنَّ للفعل زمنين الأول: صرفي ، والثاني: سياقي دلالي .

والملاحظ من خلال البحث كثـــرة النصوص القرآنية التي تمثل صورة العـــدول من المستقبل إلى الماضي ، وتعلقها في كثير من الأحيان بأحداث يوم القيامة ، وهذا أمر يتناسب مع شك المشركين في وقوعه ، فكان التعبير عن أحداثه بصيغة الماضي الدالة على القطع واليقين لينهض _الماضي_ بوظيفة التوكيد فيما يسمى بلاغيـــاً الخبر الإنكاري لأن الكلام موجـه لمن ينكر الخبر من أساسه ، لذلك يمكن اعتبار العدول إلى الماضي إحدى طرائق التوكيد ، تماماً كالقَسم والتكرار وأدوات التوكيد الأخرى .

ثانياً : العدول عن المضارع إلى الأمر

يُعدل عن الفعل المضارع إلى فعـل الأمـــر في السياق **للدلالة على اختلاف الفعلين لفظاً ومعنى** ، كقوله تعالى : **﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَـــالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾**(هود:54) فأتى بالفعل المضارع في أول الأمر: (أشهد) ، ثم عدل عن الفعل المضارع إلى الأمر :(اشهدوا) ، وكان من المفروض أن يكون مضارعاً ليصح العطف لفظاً ومعنى ، فيكون التقدير: أشهد الله وأُشهدكم أني ...، ثم عدل عن الثاني إلى الأمر للفرق بين الإشهادين ؛ لأن إشهاد الله صحيح وثابت ، وإشهادهم إياهم ليس إشهاداً حقيقياً ، وإنما هو على سبيـــل السخرية والتهكم والتحدي والاستهانة ، فهو ((يقول لقومه: كونوا شهداء على أني لا أفعله ، فإنْ قلت: هلا قيل: إني أشهد الله ، وأُشهدكم ؟ قلت: لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ، ودلالة على قلّة المبالاة فحسب ، فعـــدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة ... تهكماً به واستهانة بحاله))[110] هذا تفسير الزمخشري ، وغيره[111] للعدول عن المضارع إلى الأمر .

وثمة دلالة أخرى مشتركة بين الصيغتين ينبغي التنويه إليها وهي كون كل من الصيغتين غير مقطوع بوقوعها خلاف الماضي ، فالأمر حين يأمر بـــ(افعل) ، والمخبر حين يخبر بـــ(يفعل) لا يمكنهما الجزم بوقوع الفعل وتحققه من الفاعل من أجل ذلك رأوا أن المضارع سابق عن الماضي ؛ لأن الفعل لم يكن ثم كان فيما بعد ، والملاحظ أنَّ بين المضارع والأمـــر صلة دلالـية منشوؤهـــا اشتراكهما في الدلالة على المستقبل لأن الأمر طلب والطلب لا يتحقق إلا بعد التلفظ به ، أي بعد زمن التكلم .

وفي قوله تعالى: **﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَـــدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾** (مريم :75) جاء الفعل (يمدد) مقروناً بـــ(لام الأمر) توكيداً فأشبه الخبر المؤكد في إيجابه ، والتقدير : (قُـــل منْ كان في الضلالة يمـــدد له الرحمن مداً أو مدَّ له الرحمن مداً)[112] .

ومثله قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾** (العنكبوت: 12)، والمعنى : (اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم)[113] ، وقد نصَّ ابن قيم الجوزية على أنَّ العـــدول في القرآن الكريم عن المضارع إلى الأمر لم يقـــع إلا في

(110) الزمخشري : الكشاف : (411/2) .
(111) ينظر مثلاً : ابن الأثير : المثل السائر : (13/2_ 14) .
(112) ابن قيم : الفوائد المشوق : (34) .
(113) نفسه : (34) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

موضعين فقط[114]مشيراً إلى موضع (مريم) ، و(العنكبوت) السابقين فأغفل بذلك موضع (هود) السابق لهما والذي ذكره كل من الزمخشري ، و ابن الأثير ، وابن قيم[115] .

ثالثاً: عدولات الأمر .

فعل الأمر _الذي يُطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم ، وعلامته أنْ يقبل نون التوكيد مع دلالته على الأمر[116] _ يُعدل في دلالته عن هــذا المعنى الاصطلاحي إلى معانٍ أخرى ؛ إذْ هنـاك الكثير من التراكيب قد تبدو للوهلة الأولى خبرية في بنيتها السطحية ، لكنها في الحقيقة تحمل في معناها العميق معنى إنشائياً ، يقتضيه ظاهر المقام ، فيعطي التركيب الخبري دلالة ومعنى لا يتوفران في التركيب الإنشائي لو صرح به ؛ ولهذا يعدل المتكلم في حديثه أو خطابه عن الإنشاء إلى الخبر ، لدلالة يرمي منها عن قصد تحقيق أمر ما ، وقد ورد مصطلح : العدول عن الإنشاء إلى الخبر في: شروح التلخيص؛ إذْ يقول التفتازاني: ((ووقوع الخبر موقع الإنشاء إمَّا أنْ يكون لإفادة التفاؤل كأن يقصد طلب الشيء ، وصيغة الأمر هي الدالة عليه ، فيعدل عنها إلى صيغة الماضي الدالة على تحقيق الوقوع تفاؤلاً))[117] وغاية العدول عن التركيب الإنشائي إلى التركيب الخبري إبراز دلالة اقتضاها المقام ، وهذا ((العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك))[118] ، وأهم الدلالات التي تفرزها ظاهرة العدول عن الأمر مضمَّنة فيما يأتي :

أولاً : العدول عن الأمر إلى الماضي

إنَّ أهم الدلالات التي تفرزها ظاهرة العدول عن الأمر إلى الماضي في البنية السطحية ، ودلالاتها في البنية العميقة ، وهي إنزال الإنشاء منزلة الخبر ، منها :

التفاؤل بوقوع الطلب ؛ إذ إنّ المتكلم قد يستعمل الجملة الخبرية التي فعلها ماضٍ مكان الجملة الإنشائية الطلبية التي تدلُّ على الدعاء ، للدلالة على تحقيق وقوع مضمون الجملة ، لإدخال السرور إلى نفس المخاطَب كقولك: (أعاذَك اللهُ من الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، ووفقك للتقوى)[119] وأصل التراكيب السابقة في بنيتها العميقة تراكيب إنشائية هي : (اللهمَّ أعذْه من الشبهة ، وأعصمه من الحيرة ، ووفقْه للتقوى) ، فلما أراد تحقق وقوع الفعل ، أو توهم أنه متحقق وحاصل ، عدل عن صيغة الأمر إلى صيغة الخبر ، للدلالة على تحقق الوقوع ، وإدخال السرور إلى نفس المخاطب ؛ ومن الدلالات أيضاً: **إظهار الحرص (الرغبة) في وقوع الطلب** ، وهذا النوع من العدول يتعلق بذات المتكلم ؛ لأن الطالب شيئاً إذا عظمت رغبته فيه وكثر تصوره له ظن أنه واقع وحاصل منذ زمـن ، فيعدل عن لفظ الفعل الإنشائي إلى لفظ الفعل الخبري المفيد للحصول للدلالة على إظهار الرغبة ، والحرص في وقوع الفعل وتحققه ، نحو: (رزقني اللهُ لقاءَك)[120] ؛ **أما الدعاء له وعليه** فقد يعدل غالباً عن استعمال فعـل الأمر الإنشائي إلى لفظ الفعل الخبري المفيد للحصول للدلالة على إظهـار الرغبة ، والحرص في وقوع الفعل

---

(114) ابن قيم : الفوائد المشوق : (34) .
(115) الزمخشري : الكشاف : (411/2) ، المثل السائر: ابن الأثير :(13/2_14) ، ابن قيم : الفوائد المشوق: (34) .
(116) أحمد الحملاوي : شذا العرف: (57) .
(117) الخطيب القزويني : شروح التلخيص ، ابن يعقوب المغربي : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : (338/2) .
(118) ابن الأثير : المثل السائر : (14/2) .
(119) السكاكي : مفتاح العلوم : (324) ، الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة : (96/2) ، سعد الدين التفتازاني : شروح التلخيص: (338/2) .
(120) المصادر السابقة نفسها : (324_325) ، (96/2) ، (338/2_339) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

وتحققه ، نحو: (رزقني اللهُ لقاءَك)[121] ؛ **أما الدعاء له وعليه** فقد يعدل غالباً عن استعمال فعل الأمر إلى استعمال الفعل الماضي للدلالة على الدعاء ، فحين نذكر الرسول الكريم نقول: (صلَّى اللهُ عليه وسلم) ، أي: (صلِّ وسلِّم عليه) ، ولأجل التأدب مع الله واليقين بتحقق الدلالة وكأنها واقعة يستعمل المتكلم في ذلك كلّه الأسلوب الخبري الذي يفيد الدعاء له ، وكقول الشاعر[122] :

فَسَقَى بِلادَكَ غَيــرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الْغَمَامِ وَدِيمَـةٌ تَهْمِــي .

فهو لم يكتفِ بالدعاء للديار بالسقيا ، وإنما احترس في كلمة : (غير مفسدها) ، لما عُرف عن المطر _أحياناً_ من تخريب الديار ، أي : (أصابها مطر نافع لا يخربها) ، ولا يزيد على ريِّها وحاجتها والتقدير: (ليسقها) .

وقد يُعكس الأمر فيُعدل عن صيغة الأمر في الدعاء عليه إلى الماضي ، كقولك: (زيداً قَطَع اللهُ يده ، وزيداً أمرَّ اللهُ عليه العيشَ) ؛ لأنّ معناه معنى: (زيداً ليقطَع اللهُ يده...)، و يذكر السيوطي_في باب ما يقرب من الالتفات[123] شاهداً قرآنياً لهذه الصورة العدولية هي قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ للطائفيين وَالْعَاكِفِينَ والركع السجود**﴾(البقرة: 125) ويتابع أسامة البحيري السيوطي في التمثيل لهذه الصورة العدولية بهذا الشاهد[124] .

إنَّ القارئ المتأمل في كتاب الله _تعالى_ عند تلاوته لهــذه الآية يلفت انتباهه ورود صيغة الأمر (اتخذوا) في هذا السياق القصصي الذي يستوعب أحداثاً وقعت في الزمن الماضي وهي : ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ... وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ... وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ... وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ...**﴾ (البقرة : 124_ 126) ولا يشك لحظــةً في أن صيغــة الأمر(اتخذوا) تمثِّل قطعاً مفاجئاً لوتيرة الحكي بصيغة الماضي لتصبح_أسلوبيــاً_عنصراً عدولياً في هــذه البنية القصصية الماضوية .

ويقدِّم الزمخشري رؤية تصورية للبنية العميقة للآية في محاولة منه لإعادة التجانس بين الأفعال في بنية الحكي والتخفيف من حدة المفارقة الزمنية التي أحدثها اعتراض صيغة الأمر بين صيغ الماضي ، ففي تقدير الزمخشري أن البنية العميقة للآية شهدت إقصاء لفعل ماضٍ كان لصيقاً بفعل الأمر ، وهو (وقلنا اتخذوا) ، وهذا الإقصاء هو الذي أبرز فعل الأمر (اتخذوا) عنصراً عدولياً وشكَّل هذه المفارقة الزمنية بين الأفعال ، يقول الزمخشري: ((واتخذوا على إرادة القول ، أي: وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه))[125] .

وظاهرة العدول _ على افتراض تحققها في الآية_ إنما وقعت عن الماضي إلى الأمر لا عن الأمر إلى الماضي ، وأمَّا ما ذهب إليه السيوطي من أن العدول في الآية وقع عن الأمر (اتخذوا) إلى الماضي

---

(121) السكاكي: مفتاح العلوم : (324_325) ، الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة : (96/2) ، سعد الدين التفتازاني : شروح التلخيص: (338/2_339) .
(122) البيت من البحر الكامل ، لطرفة بن العبد ، يمدح فيه قتادة بن مسلمة الحنفي ويدعو لبلاده بالخير الوفير ، وأن يمن المولى عليها بغيوم ذات مطر وفير نافع غير مفسد . ديوانه : (82) .
(123) السيوطي: الإتقان : (237/2) .
(124) أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية: (327_328) .
(125) الزمخشري : الكشاف : (172/1) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

(عهدنا) فهو _في تقدير البحث_ وهمٌ منه ؛ ذلك لأن العدول على شرط السيوطي نفسه ((أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه))[126]وهذا الشرط غير ممكن التحقق في الآية ؛ لاختلاف المرجع في الفعلين فالأمر في (اتخذوا) لعموم المسلمين ، في حين نجد أن صيغة الماضي يقصد بها إبراهيم وإسماعيل _عليهما السلام_ ومن هنا لم يرجع الفعلان لمقصود واحد ، ولو أردنا وحدة المرجع لاختلّ المعنى المراد[127] فعلى رأي السيوطي نتصور بنية العمق على النحو الآتي: (اتخذوا ، اعهدوا) ويكون المأمور_ بكلا الأمرين_ واحداً وهم عموم المسلمين ، وهــذا باطل لأن الخطاب بالعهد إنما توجه لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

نخلص مما سبق إلى أن الآية التي استشهد بها السيوطي ليس فيها عدول عن الأمر إلى الماضي ، وأن هذه الصورة العدولية ليست متحققةً في بنية الخطاب القرآني .

ثانياً : العدول عن الأمر إلى المضارع

قد يأتي فعــل الأمــر ابتداء ثم يتحول عنه إلى الفعل المضارع فيكون في المضارع مزيد حثٍّ على تنفيذ هذا الأمر ، وذلك من خلال استحضاره مشهد الحدث .

و هذه صورة أخرى من صور العدول في الأفعال التي انفرد بذكرها السيوطي وتابعه فيها أسامة البحيري ، وشاهــد السيوطي عليهــا ، قوله تعالى : ﴿**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ (البقرة:70_71) ولئن كان السيوطي اكتفى بذكر صورة العدول هذه والتمثيل لها بهذا الشاهد[128] ، فقد أغرب أسامة البحيري في مقاربة هذا الشاهد ووقع في تناقض حاد بين الاستشهاد لهذه الصورة العدولية بهذه الآية وبين التحليل الإجرائي لبنية العدول فيها ، إذْ أورد الآية ليمثّلَ بها لصورة العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة المضارع ثم فاجأنا – وهو يقدم مخططاً بيانياً لظاهرة العدول في بنيتيها السطحية والعميقة – بأن عد العدولَ إنّما وقع عن صيغة المضارع إلى صيغة الأمر ، وهذا نصه:

((**المستوى السطحي:** (أقيموا ، واتقوه ، تحشرون)
(أمـــــــــر ، مضــارع)
المستوى العميــق: (لنسلم ، وأن نقيم ، ونتقيه ـــــــــ نُحــشر) (لأنه الذي إليه نحشر) .
(مضـــــــــارع ـــــــــــــ مضـــــــارع) ...))[129] .

نلاحظ من هذا المخطط أن بنية العدول في مستواها العميق _في رأي البحيري_ تعيد صيغتي الأمر (أقيموا ، اتقوه) إلى الصيغة الأصلية لهما الصيغة المضارعية ، وهذا يعني أن العدول وقع عن صيغة المضارع في بنية العمــق (وأن نقيم ، ونتقيه) إلى صيغة الأمر في بنية السطح (أقيموا ، اتقوه) وكان يفترض بالبحيري _لكي ينسجم تحليله لبنية العدول مع استشهاده لهذه الصورة العدولية بهذه الآية_ أن يتصور بنية العدول في مستواها العميق على النحو الآتي: المستوى العميق: (أقيموا ، واتقوه واحشروا) ، وحتى هذا التصور الأخير لبنية العدول في مستواها العميق لا يجعلنا نسلِّم بوجود ظاهرة عدول في الآية ؛ وذلك لسببين: **الأول:** أن المرجع في الصيغ الثلاث وهو ضمير المخاطب(الواو)_وإن

(126) السيوطي: الإتقان: (235/2) .
(127) صدَّام حسين : الإلتفات في القرآن الكريم : (152_155) .
(128) السيوطي: الإتقان : (337/2) .
(129) أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية: (328) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

كان واحداً_تختلف وظيفتُه في البنية التركيبية لهذه الصيغ فهو على مستوى بنية السطح فاعل في الصيغتين الأوليين (اقيموا ، اتقوه) وهو في الصيغة الثالثة (تُحشرون) نائب عن الفاعل ولو أردنا إعادة تجنيس الصيغة الثالثة (تُحشرون) مع الصيغتين السابقتين ، فقيل: (احشروا) لاختلَّ معنى الآية حيث يصبح المخاطب في هذه الحالة فاعلاً للحشر ، وليس هذا مضمون الآية ، وعليه فلا يصح القول بوجود ظاهرة عدول عن صيغة الأمر إلى صيغة المضارع في الآية الكريمة ، و **السبب الثاني:** أن صيغة المضارع (تُحشرون) لا تستجيب لتأثير أي قانون من القوانين اللغوية التي توجب أو ترجِّح تجنيسها مع صيغتي الأمر (أقيموا ، واتقوه) فصيغة المضارع لا تخضع مع صيغتي الأمر لتأثير قانون السياق التاريخي فالأمر بإقامة الصلاة والتقوى واقع في الدنيا،وزمن الحشر في الآخرة ، كما أن الأفعال الثلاثة لا يضمها قانون الشرط ولا قانون العطف ولا قانون الجوار ولا غيرها من القوانين أو الأسس اللغوية التي ارتضاها اللغويون مسوغات لصحة دعوى وجود ظاهرة عدولية في بنية النص اللغوي[130] ؛ وتأسيساً على ما سبق نؤكد أن صورة العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة المضارع غير متحّققة في بنية الخطاب القرآن .

الخاتمـــة

لقد أكّد البحث القيمة الوظيفية التي يؤديها العدول في بنية النص ، وأوضح أبعادها الدلالية ، فلم يرد العدول في النص بفعل المصادفة ، و إنما جاء عن قصد ، متنوع الصور ، لغرض أسلوبي ؛ يجعل قواعد العربية أكثر اتساعاً ومرونة بحسب المراد والمقصود ، و على الرغم من مخالفة قواعد النحو المعياري ، فإنه يولّد تراكيب لا يمكن الوصول إلى معانيها إلّا بمثل هذا العدول التركيبي ، فكلُّ عدول في اللفظ يقتضي عدولاً في المعنى ، وبهذا تتبادل الأفعال دلالتها الزمنية ، من خلال التركيب السياقي ، لا من بنيتها الصرفية المفردة ، فالعدول اختيار من إمكانات اللغة ، لا انتهاك لقواعدها ، وإن كان خروجاً على القياس النحوي ، أو خرقاً لنظام العربية ، فالابتعاد عن الاستعمال المألوف ، وإيقاع العدول أو الانزياح أو التجاوز في نظام اللغة ، هو رمز جماليتها ، ومهما يكن من أمر فلا يمكننا احتواء كلّ دلالات العدول في التركيب الفعلي لكثرتها .

أوضح بحث العدول الفعلي أنّ للفعل زمنين ، **الأول** : زمنٌ صرفيٌّ يتجلّى في الصيغة المفردة خارج السياق النصي ، وهو زمن ثابت تعنى به الدراسات الصرفية كدلالة صيغة: فَعل على الماضي ، وصيغة: (يفعل) على الحاضر أوالمستقبل ، وصيغة : (افعلْ) على الحاضر أو المستقبل ، **والثاني** : زمنٌ سياقيٌّ أوسع من الزمن الصرفي ؛ لأنه على مستوى الجملة والتركيب ، فيتجاوز الزمن الثابت ، إذ ليس بالضرورة في السياق النصي أن تدل صيغة: فَعلَ على الماضي ، ولا صيغة: يفعل على الحاضر أوالمستقبل ، بل بفضل تضافر قرائن السياق قد تدلّ على المستقبل أو الماضي ، و في الختـام يوجز البحث أهم ما توصَّل إليه من نتائج وتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: نتائـــج البحث :

- تحولات الأفعال في السيـــاق القرآني هي من أبرز الظواهر الأسلوبية في التعبيـــر القرآني ، وأكثرها وروداً ، وتمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم .
- توصَّل البحث من خلال تحليل سياقات هـــذه التحولات إلى أن كل تحول في المبنى يصاحبه

(130) ينظر :جلال عبد الله محمد سيف حمادي: العدول في صيغ المشتقات دراسة دلالية :شروط العدول: (35_38) ،و قوانينه : (40_61) .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

تحوُّل في المعنى قطعاً .

- أكَّد البحث أن الأفعال تكتسب في السياق القرآني دلالتها الزمنية من السياق الواردة فيه ، لا من بنيتها الصرفية فحسب .
- أثبت البحث ضرورة الربط بين البنية العميقة للتركيب والبنية السطحية ؛ ليظهر من خلال ذلك جماليات التركيب ، ووظيفته البلاغية .
- أوضح البحث أنَّ ظاهرة العدول في الأفعال والخروج عن مقتضى الظاهر هي وجه من وجوه شجاعة العربية وروعتها .
- أبرز البحث في ظاهرة العدول الفعلي الجوانب الغيبية في صورة المشاهد المحسوسة المرئية ، قطعاً بحدوثها و حصولها ، كما هو الحــال في السياقات القرآنية التي تحدثت مشاهد البعث و الحساب وغيرها من العوالم الغيبية .

ثانياً : توصيات البحث .

- يعد القرآن الكريم بقراءاته المتواترة مجالاً خصبــاً للدراسات التطبيقية بخاصة النحوية والصرفية ؛ لذا فعلى الدارسين والباحثين في مجال اللغة العربية اتّخاذه المصدر الأول والأوثق من بين مصادر التشريع اللغوي ، على أن البحث العلمي من خلال القرآن الكريم يخدم هذا الكتاب العظيم الذي تعهّد المولى بحفظه ، ومن جانب آخر فإنّ الدراسات الصرفية مجال رحب ، وأنّ ظاهرة العدول في الألفاظ تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث المستقصي لما لها من علاقة بعلم الدلالة فمجالها واسع ولا يزال مفتوحاً أمام الباحثين .
- يوصي البحث بالاهتمــام بالدراسات اللغوية التي توظف اللغة توظيفاً دلالياً و اجتماعياً ، و ذلك من خلال التعامل مع النصوص عن قرب بالتحليل و التعليل ، لا سيما النص القرآني المعجز في نظمه و معناه ، الذي كل مفردةٍ فيه بل كل حرفٍ أو حركةٍ إعرابية تحمــل رسالةً تتجاوز حدود الكلمة و الجملة إلى عالم النفس و الحياة .
- يشير البحث إلى أن هناك مواضيع لغوية بلاغيـــة بحاجة إلى دراسات مستقلة ، تسهم في إبراز جوانب مضيئة من إعجــاز النص القرآني ، وعبقرية لغته_لغــة التنزيل_من تلك الموضوعات: موضوع التحولات الصوتية ، والتحولات المعجمية وتحولات التركيب النحوي في السيــاقات القرآنية ، وكذلك التحولات البلاغيـة الفنيــة في الصور و التشبيهات ، و غيرها من موضوعات النحو و البلاغة المختلفة .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

مصادر البحث ومراجعه :

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتب المطبوعة ، والرسائل والأبحاث العلمية :

- الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث _إبراهيم عبــد الجواد_ وزارة الثقافة عمان _الطبعة الأولى_1996م .
- الإتقان في علوم القرآن_للسيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن(ت:911ه)) _حقَّقه ، وعلَّق عليه ، وعمل فهارسه : عصام فارس الحرستاني ، و خــرَّج أحاديثه : محمد أبو صعيليك _دار الجيل ، بيروت _الطبعة الأولى _1419ه/1998 م .
- أسرار البلاغة في علم البيان_الجرجاني: (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت: 471ه))_ تحقيق عبد الحميد هنداوي_ منشورات محمد على بيضون_دار الكتب العلمية _بيروت ، لبنان_ الطبعة الأولى_1422ه/2001 م .
- أسلوبية الانزياح في الأسلوب القرآني_أحمد غالب النوري الخرشة_رسالة دكتوراه_جامعة مؤتة_ 2008 م .
- الأسلوبية والأسلوب_عبد السلام المسدي_ الطبعة الثالثة_ الدار العربية للكتاب_ (بدون تاريخ) .
- أسلوب المحاورة في القرآن الكريم عبد الحليم حفني _الهيأة المصرية العامة للكتاب_الطبعة الثالثة_ القاهرة _ 1995 م .
- الأصول دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي عند العرب_تمام حسّان_دار الثقافة العربية_ الدار البيضاء_1411ه/ 1991 م .
- الإعجــاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية_التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)_ عبـد الحميد أحمد يوسف هنداوي_ المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت _2002 م .
- الإعجاز القرآني في أسلوب العدول_حسن منديل العكيلي_دار الكتب العلمية_بيروت_الطبعة الأولى_2009 م .
- أمالي ابن الشجــري _ابن الشجري: (أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني (ت:542ه))_تحقيق ، ودراسة : محمود محمد الطناحي_مكتبةالخانجي بالقاهـرة_الطبعة الثانية_ 1427ه/ 2006 م .
- إنزياح الخطاب الصوفي عند النفري المواقف والخطابات نموذجاً_ فريدة مولى_رسالة ماجستير_ جامعة تيزي وزو_2001م .
- الإنزياح في التراث النقدي والبلاغي _أحمد محمد ويس_اتحاد الكتاب العرب_دمشق_ 2002 م .
- الإنزياح من منظور الدراسات الأسلوبية_أحمد محمد ويس المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع_بيروت_2005 م .
- الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية_ العلوي: (يحيى بن حمزة بن علي (ت:749ه)) _تحقيق: ابن عيسى باطاهر الطبعة الأولى ، دار المدار الإسلامي_2007 م .
- الإيضاح في علل النحو_الزجاجي:(أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق(ت: 337ه))_ تحقيق: مازن المبارك_دار النفائس _ بيروت_الطبعة الثانية_1393ه/1973 م .

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

- الإيضاح في علوم البلاغــة_الخطيب القزويني: (جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبـد الرحمن (ت:739ه))_شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي_المكتبة الأزهــرية للتراث_الطبعة الثالثة_1413ه /1993 م .
- الإلتفات في القرآن الكريم_ صـدَّام حسين علوان الدليمي_رسالة دكتوراة_إشراف الدكتور: محمد ضاري حمادي _كلية الآداب الجامعة المستنصرية_ بغداد _2004 م .
- البحر المحيط _أبو حيَّان: (أثير الدين محمد بن يوسف(ت: 745ه))_دار إحياء التراث العربي_ بيروت،لبنان_الطبعة الثانية_1411ه/ 1990 م .
- البيان في روائع القرآن _تمام حسان _عالم الكتب_الطبعة الثانية_1420ه/2000 م .
- البنية الصرفية وأثرها في تغيير الدلالة(دراسة تطبيقية على قراءة عاصم)_محروس محمد إبراهيم _دار البصائر،مصر_2007 م.
- بنية اللغة الشعرية_جان كوهن_ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري_دار توبقال للنشر_المغرب_ الطبعة الأولى _1986 م .
- تأويل مشكل القرآن _ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت: 276ه))_ دار التراث القاهرة_ شرحه: السيد أحمد نصر _الطبعة الثانية_1393 هـ /1973 م .
- التحرير والتنوير _الطاهر بن عاشور: (محمد الطاهر بن محمد: (ت: 1394 ه/1973 م)_ دار سحنون للنشر و التوزيع_ تونس_ 1984 م .
- تحولات البنية في البلاغة العربية _ أسامة البحيري _ دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع _القاهرة_ 2000 م .
- التفسير البياني للقرآن الكريم _عائشة بنت الشاطئ_ دار المعارف _القاهرة_الطبعة الخامسة_ 1990 م .
- التفسير الكبير الفخر الرازي:(محمد بن عمر(ت: 606ه))_دار الفكر للطباعة والنشر_الطبعة الأولى _1401ه/ 1981 م.
- الجامع لأحكام القرآن _القرطبي : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 671هـ))_ تقديم: هاني الحاج_حقَّقه وخرَّج أحاديثه: عماد زكي البارودي،خيري سعيد _المكتبة التوقيفية _القاهرة _ (بدون تاريخ)
- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني : صالح ملا عزيز ، دارالزمان ، دمشق ، الطبعة الأولى _2010 م .
- الخصائص_ابن جني: (أبو الفتح عثمان بن جني(ت: 392ه))_تحقيق : محمد على النجَّار_دار الكتب المصرية_1371 ه/ 1952 م .
- ديوان طرفة بن العبد: (عمرو بن العبد البكري (ت: 70 ق.ه /552 م.) _اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي _دار المعرفة _بيروت ، لبنان _الطبعة الأولى _1224 ه/ 2003 م .
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار _الزمخشري:(جار الله أبو القاسم محمود بن عمر(ت: 538ه))_ تحقيق: عبد الأمير مهنا _ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات_بيروت،لبنان_ الطبعة الأولى_ 1412ه /1992 م .
- شرح التصريح على التوضيح_خالد الأزهري : (زين الدين خالد بن عبد الله (ت: 905ه))_دار

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

إحياء الكتب العربية_ القاهرة_(بدون تاريخ) .
- شذا العرف في فـن الصرف_أحمد الحملاوي : (أحمد بن محمد (ت: 1351هـ/1932م)_دار الكيان للطباعة والنشر (بدون تاريخ) .
- شروح التلخيص ، وهو مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني : (سعـد الدين مسعود بن عمر (ت: 792هـ)) _على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ومواهب الفتاح في شـرح تلخيص المفتاح ، لابن يعقوب المغربي، دار السرور، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ) .
- الطراز المُتضمِّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز _ العــلوي : (يحيى بن حمزة بن علي (ت: 749هـ))_دار الكتب الخديوية_ مطبعة المقتطف بمصر_1332هـ/1914 م .
- العــدول في صيغ المشتقات دراسة دلالية _جلال عبد الله محمد سيف حمادي _ رسالة ماجستير _ إشراف: عباس علي السوسوة _جامعة تعز _ الجكهورية اليمنية_1428ه/2007 م .
- علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة_صلاح فضل : فصول مجلة النقد الأدبي_المجلد الخامس العدد الأول _مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب (بدون تاريخ) .
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (الحسن عبد الله بن سهل ت: 395 ه) _حققة وعلَّق عليه _ محمد إبراهيم سليم_ دار العلم والثقافة القاهرة_1418 هـ/1997 م .
- الفعــل زمانه وأبنيتـــه _إبراهيم السامرائي_مؤسَّسة الرسالة_بيروت_ الطبعة الرابعة_1406هـ/ 1986 م .
- الفوائد المشوق_ابن قيم الجوزية : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي(ت:751هـ)) _عُني بتصحيحه:السيد محمد بدر الدين النعساني_الطبعة الأولى_مطبعة السعادة بمصر_1327هـ .
- في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق_خليل أحمد عمايرة _عالم المعرفة للنشر والتوزيع_جدة_ الطبعة الأولى_ 1404هـ/ 1984 م .
- قراءة جديـدة لتراثنا النقدي_عز الدين إسماعيل ، النادي الثقافي الأدبي، بجدة_1410هـ/1990م .
- الكتاب_سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان(ت: 180هـ))_تحقيق:عبد السلام محمد هارون_دار الجيل_بيروت_الطبعة الأولى_ (بدون تاريخ) .
- الكشَّاف عَنْ حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويـل_الزمخشري: (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت:538 هـ)) _شرح،وضبط:يوسف الحمَّادي_دار مصر للطباعة_سعيد جوده السحَّار وشركاه_(بدون تاريخ) .
- اللباب في علل البنـاء والإعراب_للعكبري: (مُحب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت:616هـ))_تحقيق: الدكتورغازي مختار طليمات،والدكتور عبد الإله نبهان_دار الفكر_ دمشق، سورية_1422هـ/2001 م .
- لسان العرب _ابن منظور _دار صادر_بيروت_الطبعة الأولى_2000 م .
- اللمع في العربيـــة لابن جني: (أبو الفتح عثمان بن جني (ت:392هـ))_تحقيق: فائز فارس _ الناشر : دار الأمل للنشر والتوزيع _إربد_الأردن_ 1421هـ/2001 م .
- اللغة_ ج . فندريس_تعريب:عبد الحميد الدواخلي،محمد القصاص_مكتبة الأنجلو المصرية_مطبعة لجنة البيان العربي_القاهرة _ 1950 م.
- اللغة المعيارية واللغة الشعرية_ بان موكارو فسكي ، ترجمة إلفت كمال الروبي : فصول مجلة النقد

جامعــة بنغازي
مجلة العلوم والدراسات الإنسانية – المرج
مجلة علمية الكترونية محكمة
رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014
ISSN : 2312 – 4962

الأدبي _المجد الخامس_ العدد الأول (بدون تاريخ) .
- اللغة والإبداع _مبادئ علم الأسلوب العربي شكري عياد ، طبعة انترناشيونال ، القاهرة، 1988م.
- المثل السائر لابن الأثير :(ضياء الدين نصر الله بن محمد(ت:637ه))_تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد _ مطبوعات مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر_ 1358ه/1939 م .
- المحتسب في تبين وجوه شــواذ القراءات والإيضاح عنها _ابن جني: (أبو الفتح عثمان بن جني (ت:392ه))_دارسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطـا_منشوارت محمد على بيضون_دار الكتب العلمية_ بيروت،لبنان_ الطبعة الأولى_1419ه/ 1998 م .
- المحكم والمحيط الأعظم _ابن سيــده : (أبي الحســن علي بن إسماعــيل (ت:458 ه))_تحقيق : عبد الحميد هنداوي_منشورات محمد علي بيضون _دار الكتب العلمية _بيروت ،لبنان _الطبعة الأولى _1421ه/2000م .
- مسائل فلسفة الفن المعاصرة _جان ماري جويو _ترجمة : سامي الدروبي _دار اليقظة العربية_ القاهرة_ 1984 م .
- مشكل إعراب القرآن_القيسي:(أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت: 437ه))_تحقيق:الدكتور حاتم صالح الضامن _ دار البشائر للطباعة ، والنشر_دمشق_الطبعة الأولى_ 1424ه/2003 م .
- معجم العيــن _للفراهيدي : (الخليل بن أحمد (ت:175ه))_ تحقيق: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي_وزارة الثقافة والإعلام _الجمهورية العراقية_ دار الرشيد لنشر_1980 م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب_ابن هشام: (جمال الدين أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأنصاري (ت:761ه))_قدَّم له ، ووضع حواشيه ، وفهارسه: حســن حمد_أشرف عليه وراجعه: إميل بديع يعقوب_منشورات محمد علي بيضون_دار الكتب العلمية بيروت،لبنان_الطبعة الأولى_ 1418ه/ 1998 م .
- المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة_محمد العبد_ دار الفكر العربي _الطبعة الأولى_ 1415ه/ 1994 م .
- مفتاح العلوم _السكاكي: (أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي(ت:626ه))_ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه : نعيم زرزور _دار الكتب العلمية بيروت لبنان_الطبعة الثانية _1407ه / 1987 م .
- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم_محمد الأميــن الخضري_مكتبة وهبــة_عابدين_الطبعة الأولى_1409ه/1989م .
- نظرية اللغة الأدبية_ايفانوكس خوسى ماريا_ترجمة: حامد أبو حامد ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة _1992 م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر_ابن الأثير:(مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت:606ه))_تحقيق طاهرمحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي _الحلبي _1383ه/ 1963م .
- النهر الماد_أبو حيَّان: (أثير الدين محمد بن يوسف(ت: 745ه))_مطبوع بهامش البحر المحيط_ دار إحياء التراث العربي_ بيروت، لبنان_الطبعة الثانية_1411ه/1990م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع_السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن(ت:911ه))_تحقيق: عبد العال سالم مكرم_ عالم الكتب_القاهرة_1421ه/2001 م .